سعيد فودة، وملامح تأسيس الأشعرية الجديدة

(سمات المنهج الفودي في التعامل مع تراث ابن تيمية: تحقيق رسالة الإخميمي نموذجا)



قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الله فرض فرائض، فلا تضيعوها، وحد حدودا فلا تعتدوها، وحرم أشياء، فلا تنتهكوها.. وسكت عن أشياء رحمة لكم غير نسيان، فلا تبحثوا عنها".



بسم الله الرحمن الرحم

مقدمة

حضرت في عام ألفين وخمسة عشر بضع مجالس علمية مع الأشاعرة طلابا ومطلوبين، وتابعت حواراتهم ونقاشاتهم في الشبكة العنكبوتية، ومجموعاتهم الخاصة والعامة، وكل مدار من طلابهم وعلمائهم.

وقد لاحظت تنظيرا ملفتا ذا شكل ووعاء بادي القولبة، واستيقنت وجوده بعد القراءة لأمثال الدكتور سعيد فودة، ثم لم يمض زمن طويل قبل أن أقرر مباشرة التفتيش عن جذور السلوكيات والتنظيرات والرؤى التي أغرقني الاطلاع عليها، دفع الفضول ابتداءَ، ودرك المهيب انتهاءَ!

وكان مستهل دوافع البحث، هو ما وقع في نفسي، أن ادعاء كون (الأشعرية المعاصرة) ليست إلا مركّبا محضَ عقدي في نفوس أصحابها =ليس إلا محض خرف وجهل!

وقد تابعت وقرأت ما يحكم على زاعم ذلك بالسطحية والإفك =بل صارت الأشعرية على أيدى ثلة من المعاصرين شمولية الطابع، تتأتى في مقدمها السياسة والشؤون الدولية!

واستُحدِثت فيها سمات تُخالِف أطوارها المتقدمة، لا يجمعها جامع قدر الهجوم على السلَفية، ومركزها: الإمام ابن تيمية رضي الله عنه.

وبهذا التجييش، صارت لكثير من أهلها (أيدولوجيا شمولية) كاملة، تتضمن حزمة من الخيارات السياسية الفقهية العقدية!

وهذا البحث وإن كان يقتصر موضوعه ظاهريا على مناقشة ملامح تلك المدرسة وصفاتها المميزة مع تراث الإمام ابن تيمية، إلا أنه في جوهره سياسي من الدرجة

الأول =فغرضي التقليب والتنقيب عن عوامل بناء تلك الأيدولوجيا، وأسباب طمع المعتدين في استخدامها على مستوى جيوبوليتكي.

المركز الجديد.

لا يعوز المُفتِّش كثير جهدٍ لاستبيان مكانة الدكتور سعيد فودة ورتبته المركزية فكريا في بناء تلك الأيدولوجيا الأشعرية الجديدة! نعم، كان -وما زال- للدكتور علي جمعة دور هائل على المستوى المؤسسي في مصر، بما صنعه من دقٍّ لتلامذته ومريديه في شتى أنحاء المنظومة المؤسسية الدينية، مع استغلاله للكاريزمية العملاقة التي يطغى بها إضافة لسعة علمه في كسب أراضٍ رحيبة واسعة حتى بين بعض خصومه من السلفيين /لكن على المستوى الفكري والعقدي المُنتِج للتنظير الثقيل لا يعد الرجل شيئا بجوار الدكتور سعيد فودة، أكثر أشاعرة هذا الزمان اقترابا من نموذج (المُنظِّر) والقائد الأيدولوجي المهووس تماما بفكرة ورؤية للعالم لا يتسامح فيها ولا يفتر عن الدعوة إليها!

بدأت البحث وأتممته قبل نهاية العام، بجوار البحوث والكتب الأخرى التي استمر العمل فيها، مثل (الإسلاموطوبيا) و(مُحاجّات المُعوقِين)، إلى أن شاء الله وظهر الأخيران للقارئ في معرض الكتاب الماضي 2017، وبقي هذا البحث حبيسا دون أن يُنشر ورقيا، لغرابة موضوعه عما كان يتم تداوله حينها، ووعورة مسلك إثبات علاقته بالقضية السياسية التي يزيد نشاطي البحثي فيها.

وجاءت الشيشان!

ثم بدأت فكرة إخراجه وطباعته تلح علي منذ الإعلان عن مؤتمر (جروزني 2016) الشهير، الذي تبدى فيه سعي روسيا لبناء (محور صوفي أشعري) في العالم الإسلامي يكون مواجها للمحور (السلفي) الذي تقوده الأيدولوجيتان المتحاربتان سياسةً، والمتشابهتان في الأصول والرموز العقدية: السلفية السعودية، والسلفية الجهادية /

وكان هذا الهدف أوضح مما يمكن المماراة فيه، فالاختلاف لم يكن ثيولوجيا فقط، بل صدعا جيوبوليتيكي كبير(Dorsey 2016) .

ولا يعسر تفهم عوامل اللجوء الروسي لاستخدام الصوفية والأشعرية والماتريدية كأيدولوجيا تتغلغل بواسطتها إلى العالم الإسلامي =فالأيدولوجيا السعودية ممثلة في دولة آل سعود هي جزء لا يتجزأ من الولايات المتحدة الأمريكية، لم تنفصل عنها ولا عن مخططاتها وأفكارها منذ عقود وعهود؛ حتى لا يجد الناظر دولتين أكثر تدللا على أمريكا منها هي وإسرائيل، في العالم كله لا في المنطقة العربية وحدها!

كما أنه لا توجد في المملكة دورات انقلابية أيدولوجية للسلطة يمكن أن تسمح بتغيير هذا الجبر الاستراتيجي على التبعية للأمريكان والعيش في ظلهم -مثلما حدث في مصر أثناء حكم عبدالناصر وانقلابه الاستراتيجي على الأمريكان، ثم انقلاب السادات على السوفيت بعد ذلك -بل المملكة السعودية أكثر جمودا ورسوخا في استراتيجيتها، وهو أمر لا يمكن أن يرجع لعوامل القوة الذاتية في النظام السعودي وحدها؛ بل الأصح أنه يرجع بصورة أكبر إلى عدم وجود احتمال تسامح لدى الاستراتيجية الأمريكية مع حدوث أي بادرة انقلاب رسمي عليهم في ذاك المكان!

لهذا ظل التغلغل الروسي يدخل ويتمكن في دول صوفية أشعرية وماتريدية بصورة أكبر (مصر وسوريا)، أو يجابه معارضة مثلما حدث في (أفغانستان والشيشان)؛ فالروس مع الأشعرية والصوفية شاهدوا الوجهين /بينما ظلت السلفية إما عدوا وإما حليفا للخصوم! مثال الأولى: حركة خطاب في الشيشان والحركات الجهادية في سوريا، ومثال الثانية: السياسة السعودية الرسمية وكذلك الجهاد ضد الغزو السوفيتي. بالتالي فرض الواقع على الروس النظر إلى السلفية دوما إما كنموذج معادِ، وإما كنموذج محايد محال استراتيجيا ضمه =بينما كانت الأشعرية والصوفية العربية خاصةً حليفا أو محايدا في أسوأ الأحوال!

وقد نجح الروس إيماءَ وتلميحا بمثل تلك المؤتمرات، وعن طريق عميلهم قاديروف رئيس الشيشان، أن يتغلغلوا ويرسخوا في كثير من الأذهان تلك الفكرة: أن روسيا

مع (المحور الأشعري الصوفي) في العالم ضد المحور السلفي الإرهابي المدعوم من أمريكا!

وترى الباحثة Kristin Smith Diwan أن الإمارات ومصر المتحالفتان مع روسيا، دخلتا بهذا المؤتمر في صراع ضد السعودية للسيطرة على الإسلام السياسي في المنطقة وإنتاج نسخة (مستقيمة /أرثوذكسية) من الإسلام تكون مرجعا ومحددا لهوية (السنة) (Diwan 2016). وأضيف على كلامها أن الوصف الإعلامي العربي الرائج هو إما (الإسلام المعتدل) أو (الإسلام الوسطي)، مقابل الإسلام المتطرف الذي يتمثل في السلفيين.

لقد حفَّزت إمكانات هذا المحور العلمية وطاقاته وقبضته الحديدية في المؤسسات الدينية في مصر وسوريا، على الطمع فيه كأداة قتالية لا تُبارى على الجانب العقدي والفكري ضد خصوم الروس الكبار في المنطقة العربية: الجهاديون والحكام السلفيون الخاضعون لأمريكا.

هكذا تلاقت الرغبات:

الرغبة الروسية مع الرغبة الإماراتية في صناعة محور عدائي للأيدولوجيا السعودية السلفية، وربما رغبة قاديروف في صناعة صورة حُسنى له بالعالم الإسلامي تُغيِّر من خزيه ككلب بوتين المدلل، ورغبة أحد كبار الصوفية وهو (الحبيب على الجفري) في المشاركة بهذا المشهد عداءَ منه للسلفية كلها؛ لتنتج هذا المؤتمر، الذي استضافه قاديروف، ونظمه الجفري، وشهد مشاركة ضخمة من المؤسسات الأشعرية والصوفية الرسمية وعلى رأسها الأزهر، بينما جلس بوتين في عرش البطركية الكريملينية مديرا!

وانتهى المؤتمر ببيان يُخرج السلفيين صراحةً من رحاب أهل السنة كافة! وهو شططٌ عاتٍ ربما لم يتوقع غلوَّه الروس أنفسهم!

هنا نارت نائرة السلفيين والدولة السعودية، واضطر شيخ الأزهر أن يخرج بيانا يدخل السلفيين ثانيةً في مصطلح أهل السنة! وهو تصريح لا يشك متابع في أنه ما جاء إلا بعد ضغط سياسي من الدولة المصرية القائمة، التي تعتمد بصورة ضخمة على التمويل السعودي.

ولقد تحدث الجميع صراحةً -ربما للمرة الأولى- عن فكرة استخدام الصوفية والأشاعرة (كأيدولوجيا) سياسية ضد (الأيدولوجيا) السعودية والجهادية الوهابيّة! وكذلك اعتبار أن السلفية تمثل التطرف والإرهاب ضرورةً، بينما الصوفية والأشعرية المؤسسية تمثل المنظمات والحركات السلمية الدولتية الأليفة التي تواكب النظام العالمي والإقليمي ولا تصادم الساسة بل تندمج معهم وتيسر استخدام الدين كأداة ضبط مجتمعي قوية في أيدي الطغاة!

أيمكن اعتبار هذا المؤتمر تدشينا رسميا للأيدولوجيا (الأشعرية الجديدة) التي كنت قد كتبت عنها وعن احتمال تحولها إلى أداة للصدام قبل عام من المؤتمر؟ أحسب الإجابة جليّة!

أما المفارقة الكبرى فتمثلت في خمول ذكر الدكتور سعيد فودة في هذا المؤتمر، فلم يُلق إلا كلمات قليلة! ولولا أن الاهتمام لم يكن منصبا على تنظير الأدلجة وحدها ما حسُن غيره مُمثِّلا؛ لكن التركيز كان على المؤسسية الأشعرية والصوفية، لاستخدام نفوذها الواسع بين شعوبها ترويجا وحشدا للتنشئة السياسية المعادية لأصول الفكر الجهادي المعاصر (السلفية) عن طريق التعليم الشرعي -وفي الحقل المؤسسي الرسمي تتدنى مرتبة فودة بين سدنة الأشاعرة المعاصرين!

لهذه الأسباب كلها، فكرت في طباعة ذلك البحث، وكي يتعرف الناس كذلك على الشطط الكبير عند تلك الأيدولوجيا، والذي لا يقل شناعة وقبحا عن التجاوزات الأخرى من أشد غلاة السلفية، مع الفارق! فالأشاعرة متنفذون في أكبر مناصب المؤسسية الأشعرية والصوفية بداخل دولهم، وفي أيديهم سلطة التنشئة العلمية والسياسية لجموع طلابهم بأساليب تماثل جدا أتباع الأحزاب الديكتاتورية، وهي

فكرة لا يمكن أن تكون قد فاتت الروس عندما فكروا في استخدام هؤلاء تدشينا لهذا المحور، وانتشار فكر الغلو الفودي في طلابهم وفيهم منذر بالخراب!

وقد حدثني الناشر قبل عدة أشهر، بسبب ملاقاته لعدة حوادث عاين فيها خطورة د.فودة وأيدولوجيته وتغلغلها في نفوس الأشاعرة الجدد، عن رغبته في طباعة البحث لمعرض القاهرة 2018، فرحبت، راجيا المولى أن يكون في صالح المسلمين، معينا لكل مهتم في فهم أسباب التفكير الروسي والإقليمي في الاستخدام السياسي لهذه المسائل العقدية بداخل الساحة الجيوبوليتكية، وهو أمر كان البعض لا يتصور إمكان حدوثه!

والله من وراء القصد.



مدخل

لقرون عديدة، مثَّل المنهج الذي قرره الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله، توفيقا منه بين المنهج الفلسفي العقدي وبين منهج أهل السنة والحديث، بما نتج عنه هذا من تقريرات عقدية -مكونا رئيسيا عند علماء أهل السنة باسم الأشعرية. ومر هذا المنهج والعقيدة المتقررة منه بمراحل تطور تجنح شيئا فشيء إلى تقديم العقل حكما على النقل، حتى اعتُبر الرازي رحمه الله ذروة هذه المرحلة وقمة الأشعرية العقلية المتأخرة.

بعدها بدأت في مراحل جمود مملوكي استمر حتى ثارت الدنيا فجأة بظهور ابن تيمية رحمه الله وما صنعه من هياج في الأوساط العلمية له وعليه؛ فلم يعد الوسط العلمي بعده كما كان قبله موالاة وحبا أو رفضا وبغضا؛ لكن الجمود الأشعري ظل هو هو، كحال الأمة بشكل عام في القرون التالية التي شهدت الصعود العثماني بينما شهد التنظير التيمي نشاطا في نجد بالقرن الثامن عشر.

ثم في بدايات القرن الماضي، تلقت الأشعرية روحا جديدة بوجود أمثال الشيخ محمد عبده، ومحمد زاهد الكوثري أحد علامات الأشعرية الحديثة -وإن لم يكن ينتسب لها بالفعل.

فإن كان الشيخ عبده قد اشتهر في المجال الحركي والسياسي والمنهجي العلمي، فالكوثري كان أثره عظيما على المستوى الإحيائي العقدي لا لعقيدته الماتريدية فقط، بل لمنهج (أهل السنة والجماعة: الأشاعرة والماتريدية) معا. وقد كتب ضد الإمام ابن تيمية الذي كان هذا زمن الصعود النجدي لنظرياته وتقريراته، وإن كان قد مر بانتكاسات قبل الاستقرار في السعودية الثالثة.

ومع نهايات القرن الماضي دخلت الأشعرية طريقا إحيائيا آخر، كان د. سعيد فودة رائدا له، بعدما قرر الدخول في حرب مفتوحة صريحة مع الإمام ابن تيمية وأتباعه

مطلقا في كل زمان ومكان، بأسلوبه الحاد وشغفه الواسع، وإثارته للقراءة ومكنة التأليف والتصنيف الغزير عنده، إضافة لاطلاعه الواسع.

وقد ساهمت الشبكة العنكبوتية ووسائل الاتصال في مضاعفة الانتشار الواسع له بين أجيال أخرى ليست كأسلافها المنعزلة بين الكتب والجامعات الأشعرية التقليدية، وسرعان ما تشكلت ملامح أشعرية جديدة في طور جديد تخالف الأولى، مركزها وعقلها مدرسة د. فودة الفكرية لا العقدية، حتى تحول الإيمان الأشعري إلى ما يشبه أيدولوجيا مناقضة لابن تيمية ومن تبعه في كل شيء، لا تلتقي معهم أبدا، بل تنقل الصراع من دائرة العقيدة والفقه إلى مجابهة شاملة في كل مجالات الحياة تقريبا.

ويعلم المتتبع لكتابات د.فودة وكتابات تلاميذه ومنتدياته العامرة أن هذه الأيدولوجيا الأشعرية الجديدة لها ثلاث سمات مميزة، هي:

أولا: سب وتحقير ابن تيمية وتراثه.

ثانيا: سب وتحقير أتباع ابن تيمية مطلقا.

ثالثا: تمجيد الأشاعرة والأشعرية بإطلاق زمني ومكاني والتعامل معهم باعتبارهم أعيانا ومنهجا: ممثلين للحق المطلق.

وفي هذا البحث إن شاء الله سنستدل بأقوال للدكتور سعيد فودة من كتبه على أن هذه السمات لازمة له ولمدرسته وأيدولوجيته، وسيكون شرح رسالة الإخميمي المنشور له عام ألفين وأربعة عشر، في طبعته الجديدة، هو المصدر الرئيسي لبحثنا، بينما سيكون الباقي تبعيّا وثانويا في الاستدلال.

وهذا، أولا، لقرب عهد هذا الشرح من زمن بحثي، وكون ما فيه من أساليب وتقريرات يمثل آخر ما وصل إليه أو قرره د.فودة من سمات لمدرسته تلك، وثانيا لإيجازه، مقارنة مثلا بكتابه الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية.

والغرض ختاما، هو إبراز تلك السمات كي يتعرف عليها كل فريق من المتجادلين هذا أو ذاك. وكشف هذا الاتجاه وتأكيد أنه يمثل أشعرية جديدة آخذة في الانتشار ستتسبب بتحولها إلى أيدولوجيا في مواجهة أكبر من مجرد الصراعات العلمية ولا محالة ستتخذ وقتها شكلا (أشعريا - سلفيا) واضحا. ومثل هذا، في عصر تواجه السلفية حربا عالمية حقيقية، مع كبوات داخلية تتمثل في انتشار خطوط الغلو أو التفريط، وصعود فرقة المداخلة المارقة وتسلطها، إضافة إلى تسليط الضوء العالمي والإقليمي العربي عليها وحدها، والحديث المستمر فكريا عن أفولها والتبروء منها، وإحكام بناء المقصلة الشيعية ببطء شمالا وشرقا وجنوبا على دولة آل سعود المتصدعة والتي ستكون نكبتها -على جورها وحيفها- أزمة لأهل السنة لا محالة -في مثل ذلك العصر، تنتشر تلك الأشعرية الجديدة بلا عوائق خارجية كبرى، فالأنظمة الشامية والشمال أفريقية لا تقف أمامها وتسمح لها بالتمدد دون توبيخ و بلا إظهار لما تمثله هي الأخرى من بوادر فتنة كبيرة في كافة الساحات التي لا تنشغل كثيرا بهذه القضايا الخطير إثارتها في أوقات حرجة جدا من تاريخ المسلمين كتلك التي نمر بها.

هل سيكون جورا وحيفا، القول بأن تلك الأشعرية الجديدة إن ظهرت يوما على مكان وزمان وصار لها دولة، لن ترحم سلفيا ولن يتهاون أهلها في تكفيرهم أو تبديعهم وسجنهم؟ سأترك قارئ البحث ليجيب على ذلك السؤال بعد الانتهاء!

لقد استطاع الحديث عن جانب واحد من الغلو في هذا الزمان: وهو الغلو في بعض السلفية – أن يزيغ البصر عن رؤية الغلو المقابل والصاعد بقوة وبحرية تامة بلا أي قيود أو معوقات حركية أو سياسية.

أما الغرض النهائي الأسمى فليس إلا توحيد المسلمين وكشف معالم الأيدولوجيات المنحرفة والغالية المتطرفة بحق لا بأمر أمريكا ومواليها! فاللهم وحد صفوف المسلمين من أهل السنة وانصر كلمتهم هاديا أو ماحيا من يسعى في تفريق شملهم وقت وجوب تماسك الصفوف.

الفصل الاول: سيف السنة.

الدكتور سعيد فودة هو دكتور أردني، فلسطيني الأصل، بزغ نجمه بشدة في بدايات هذا القرن خاصة أنه كان أهم وأذكى شيخ أشعري يتوجه بحماس وانتظام لاستخدام التقنية والشبكات بكفاءة خلال عهدي المنتديات والفيسبوك حتى صار منتداه ثم مجموعته الفيسبوكيّة (الأصلين) من أكبر مراكز تجمع الأشاعرة والماتُردية والصوفية وغيرهم على تلك الشبكة. ويندر أن تجد مثيلا معاصرا له في الثقل والشهرة عند طلاب العلم الأشاعرة والماتُريدية باختلاف أقاليمهم وبلدانهم؛ فهو أحد كبار مشايخ الأشاعرة في الوقت الحاضر -على الأقل- وهذا ما يزعمه عموم طلبة العلم والعلماء الأشاعرة المعاصرين، ولا تكاد تجد الغالب منهم إلا مع تأييد هذا الوصف وربما جعله أقل من مقامه!

وللدكتور سعيد مؤلفات وتحقيقات كثيرة وجهد إحيائي واضح لكل ما يمكن أن يكون قد تم إهماله واعتلاه الغبار من مؤلفات وأفكار الأشاعرة القديمة والتي تكلّست في أروقة الأزهر وغيره من جامعات العالم الإسلامي الأشعرية التقليدية والتي جمدتها الدول الحديثة وابتلعتها، قبل حتى أن يفعل التقليد والجمود والابتعاد عن قضايا الأمة والشباب والحركة في عالم فائر.

كان من أهداف هذا الجهد الإحيائي تعديل ذلك التراث الأشعري عن طريق الشروحات والتحقيقات واستخدام مقدماته ووسائله ليصبح أكثر ملائمة لمواجهة العدو الجديد بعدما اندثر العدو الأصلي الذي جابهته الأشعرية القديمة!

د. فودة إذن أثره في زماننا قد يفوق الكوثري -لانتشاره الواسع بما امتلكه من قدرة على الكلام والجدال وانعدام التعصب الفقهي الذي شان الكوثري وساهم في صرف الكثير من غير الأحناف عنه، ومخالف لتعميمات الرازي القديمة ضد (الحنابلة) بإطلاق (**بيان تلبيس الجهمية، 250**).

ومثال هذا: استخدام د.فودة وتلاميذه لمصطلح "فضلاء الحنابلة" الذي استعمله قبله أمثال الشيخ تاج الدين السبكي رحمه الله **(معيد النعم، 75)** دلالةً على متكلمي الحنابلة وصوفييهم -كي يستميل حتى المذهب الحنبلي بجواره وفصل جموع المتمذهبين به عن شيوخ مذهبهم وأعلامهم في قضايا الأصول، أو يصنع – على الأقل- أزمة حنبلية داخلية بينية.

فهو مغاير لكثير من الأشاعرة والماتُريدية الذين يضعون الحنابلة بجملتهم كخصم عقدي لهم، ويتضح هذا مثلا في تفريقه بين أنواع التجسيم فيضع سلف الحنابلة الأوائل في كفة وابن تيمية وابن القيم في كفة أخرى باعتبار أن "**تجسيم السلف أقل**" ويريد من ذلك تنبيه "**من قد يغتر بكثرتهم في الحنابلة فيظن أن سائر الحنابلة مثلهم وهو في ظنه هذا غالط**" **(السنوسية، 12:13).**

وربما يكون اتجاه تقسيمه للحنابلة، ثم عزله ابن تيمية حتى عن مجسميهم، أكثر حداثة، لأنه في كتابه الكاشف الصغير الذي كتبه منذ سنوات أبعد كان أكثر حدة فقال أنهم من جملة "**طائفة لم تزل في سائر القرون حتى هذا القرن مستحقرة من حيث النظر الفكري في هذه المعارف الشريفة وهي طائفة المجسمة ومنهم الكرامية وكثير من متقدمي الحنابلة وأما كبار الحنابلة فإننا ننزه جانبهم عن الوقوع في مثل هذه المزالق الخطيرة" (الكاشف الصغير، 12)** ولا يخفى ما في الموضعين من تناقض: ابن تيمية ليس كسلف الحنابلة فهم أفضل منه - كثير من متقدمي الحنابلة طائفة مُستحقَرَة مجسمة!

هكذا فهو مدرسة متميزة بذاتها وإن تلاقت مع الكوثرية في الكثير من سماتها[1] إلا أنها قد ابتلعتها بداخلها.

---

[1] لمعرفة بعض سمات الكوثري راجع **(كتب حذر منها العلماء، 229)** .

أضف إلى ذلك، تغلغله الكبير بما امتلكه من ذكاء في استخدام التقنية والدعاية لنفسه بصورة مميزة؛ فكل هذا كان مانعا لأي محاولة استهزاء بقدره وسط كثيرمن الأشاعرة المعاصرين، حتى وصل الأمر لتلقيبه بـ"سيف السّنة" في هذا الزمان.

لهذا الأثر الواسع والانتشار الممتد يمكن القول بأريحية أن الدكتور بما نبت له من تلاميذ وبما تحلَّق حوله من طلاب علم في كل مكان: صار مدرسة، يمكن اعتبارها أهم المدارس الأشعرية المعاصرة ديناميكيّة وأكبر اتجاهات نشر الأشعريّة الجدية بل مركزها.



الفصل الثاني: تحديث خريطة العداء والتحالف.

كما كانت الأشعريّة الأولى رد فعل من الإمام أبي الحسن الأشعري رحمه الله على المعتزلة الذين كانوا في زمن صعود، جاءت الأشعرية الجديدة في العصر الحديث كرد على السلفية (التيمية!) التي دخلت منذ قرنين في منحنى صاعد مستمر مقابل أفول واضح للأشعرية كمذهب غالب على المتنافسين الفاعلين في ميادين المعارك العقدية والعلمية والفقهية والجهادية على كافة الساحات في الأمة؛ حتى غلب على العوام أنفسهم بسلطة التنشئة الثقافية والعقدية.

يقول فودة غاضبا ثائرا: "**العجب الكبير إنما هو من العلماء المنتمين لمذهب أهل السنة والجماعة الذين أصبحوا خائفين وجلين من الدفاع عن عقائد هذا الدين أمام هذه الهجمة ذات الفكر التجسيمي المادي الذي أصبح يسيطر الآن على فكر كثير من العامة والخاصة. فهؤلاء العلماء يرون هذ التغلغل الخطير لهذا الفكر المريض والمخالف لعقائد الإسلام وتراهم لا يحركون ساكنا بل لا يتجرأ الواحد منهم إلا من رحم الله على القول بأن هذا الفكر مخالف لعقيدة أهل الحق وعقائد الإسلام ... وفي الجانب المقابل فإننا نرى مذهبا كان من أضعف المذاهب الإسلامية على الإطلاق وهو مذهب التجسيم ومذهب الحشوية والتشبيه فهذا المذهب كان المنتمون إليه في القرون السابقة يخجلون من التصريح به بل يلجئون إلى الكناية والتمسك بأقوال مجملة تحتمل قولهم وقول غيرهم حتى إذا سئلوا استطاعوا تخليص أنفسهم ... بل لقد صرح أحد كبرائهم ومن يسمونه بشيخ الإسلام بأن الشريعة لم تذم التشبيه ولا المشبهة! والأمثلة على انقلاب الموازين في هذا العصر كثيرة ... وما كان ذلك ليحصل وتثبت أركانه إلا لضعف المنتمين إلى أهل السنة وعدم تمكنهم من عقائدهم ... وقد برع هؤلاء جدا في التبرير أي تبرير مواقفهم هذه خاصة من سكوتهم وعدم ردهم على مذهب المجسمة ونخص بالذكر مذهب المجسمة لأنهم هم الغالبون في هذا العصر في كثير من البلاد الإسلامية. وقد امتنع كثير من العلماء في هذا العصر من الرد على فتنة المجسمة**

هذه وتعللوا بكثير من العلل فقالوا مثلا بأن هذا العصر هو عصرهم أي عصر المجسمة فلهم فيه القوة المادية وهي أكبر أسس انتشار مذهبهم وقالوا: إن الرد على المجسمة في هذا العصر مع انتشاره بين الخاصة والعامة قد يتسبب في فتنة!" (السنوسية، 16). ويقول كذلك في مقال منشور له منذ سنوات بعنوان (نظرة تحليلية على العلوم الشرعية في الوقت المعاصر): **"لقد ظهر في هذا الزمان فرقة جديدة في مظهرها، قديمة في أصولها، لا يلتفتون إلى أحد من العلماء إلا ابن تيمية، فهم يقدسون كلامه ويدعون أنهم غير مقلدين لأحد من المذاهب الأربعة ولا لأحد من العلماء المعلومين بالسداد والحق في الاعتقاد، ويدعون الاستقلال، وهم فعلا لا يتبعون أحدا من هؤلاء العلماء الأجلاء، بل هم مخالفون لهم، وهم يقولون بما لا يقله واحد منهم، كل واحد منهم مذهب قائم بذاته، وهم أجهل من التيس في زريبته، وهؤلاء معطلون لعقولهم، لا ينظرون وليس فيهم أي قابلية للنظر مهما كان بسيطا، ويحسبون أنهم على الحق المبين ويخرجون كل من خالفهم من أهل السنة، وهم أنفسهم خارجون.**

ترى الواحد منهم يدعي أنه لا يأخذ أمرا من أمور الدين إلا بالدليل. وإذا سألتهم عند أصول الاستدلال تراهم أجهل من الحجارة، بل هم أيضا ليس عندهم أي أصل من أصول العربية ولا يحترمون العلماء، وليس ذلك إلا لأنهم جاهلون. وفوق ذلك ترى الواحد منهم معتدا بنفسه وليس عنده من علم مقدار خردلة. وهؤلاء ظهروا في هذا العصر وازداد انتشارهم ولبسوا على الناس بتربية اللحى وارتداء الدشاديش البيضاء وحمل السواك في الجيوب، فظن الناس أنهم أهل العلم والتقوى، وليسوا كذلك بل هم أهل الجهل والفساد، وجهلهم جهل مركب، فهم لا يعلمون ويظنون أنهم يعلمون. وهؤلاء الناس الذين يتسمون "بالسلفية" والسلف منهم براء، ولا سلف لهم إلا الحشوية والكرامية، وجهلة اليهود، هؤلاء الناس تدعمهم دولة آل سعود" بل وتجد نفسا مؤامراتيا واضحا في هذا المقال يظهر جليا عندما يقول " **أما المذهب الحنبلي فلم يكن منتشرا بين المسلمين، ولم يظهر إلا بعد ظهور المذهب الوهابي وتلك الدعوة المشبوهة، واتكأ هؤلاء الناس**

على المذهب الحنبلي كسلاح في وجه المذاهب الأخرى، وبهذا يكونون قد ضربوا الإسلام ببعض" فغرض السلفيين النهائي كان ضرب الإسلام بعضه ببعض لأن دعوتهم كلها مشبوهة؛ وليس من الغريب حينئذ أن تطالع تلك المنشورات والمقالات عن أصول السعوديين والوهابيين اليهودية والتي تعاضدها أدلة تافهة خرقاء على تلك الدعوى كطريقة لبس الغطرة التي تشبه الشال اليهودي والتجسيم الذي يشبه ما قيل في التوراة المحرفة، ومثل هذه المنشورات لاتلقى كسادا أو هجوما إنما تسامحا في مجموعات (الأصلين) الناظمة لأيدولوجيته!

لهذه الأسباب كلها: لصد المؤامرة الوهابية التيمية - ولقمع أكبر بدع الحاضر؛ كان لابد من تغيير خريطة العداء والتحالف جذريا!

أما من حيث الأسس الرئيسية الأرسطية لإثبات وجود الله وغير ذلك من المسائل: فالأشعرية الجديدة كالأولى لكنها صارت أكثر اعتمادا على ما يعرف بالعلوم العقلية، ومعلوم ازدياد الاعتماد على العقليات وتقديمها وتعظيمها عند متأخري الأشعرية الأولى كالرازي رحمه الله **(الشافعي 2001)** فكأن الرازي حقا هو إمامها وهو مبتدأها حتى وإن تأخرت عنه إلى القرن الماضي.

ضِف إلى ذلك أن هناك تعمد مغالاة في شأن المنطق الأرسطي: فهو الأساس الذي بنيت فوقه العقيدة الأشعرية الأولى والذي كان يسلم متكلمو المسلمين بأنه آلة العقلانيات ولا يناقشون هذا، وقد تعرض هذا المنطق في القرون الأخيرة لضربات غربية كافية لضعضعته أو على الأقل التقليل من أهميته، وهذا يصنع إشكالا؛ لأنه إذا كان الأساس المنطقي الذي بُني فوقه علم الكلام قد صار ضعيفا فهذا طعن ليس فقط في علم الكلام إنما طعن في الأشاعرة بالجملة!

لذا كان لابد من تدعيم المنطق الأرسطي والرد على المقللين من شأنه والمعارضين له -هكذا نجد د.فودة في كتابه "تدعيم المنطق" يقول في بيان هذا كله: **"لقد كثر الكلام على علم المنطق بصورته القديمة وهي التي تسمى بالمنطق الصوري التقليدي وتزايدت الانتقادات الموجهة عليه، سواء من القدماء أو من المعاصرين**

... في الزمان المعاصر فقد واجه المنطق هجوما عنيفا من مختلف والمفكرين سواء في الغرب أو الشرق وصار بعضهم يعتبر المنطق علما لا فائدة فيه بل هو مجرد تكرار للأفكار التي يعرفها الإنسان وصار ينظر إليه على أنه مضيعة وقت وإجهاد ذهن بلا فائدة ... ظل الاتجاه الحاضر في الثقافة الإسلامية وبين علماء المسلمين هو الاتجاه المهتم بعلم المنطق على أنه آلة للعلوم وعلى أنه علم مهم يترتب عليه بيان صحيح الفكر من فاسده ويترتب عليه أيضا الكشف عن مواضع الغلط في الفكر سواء للشخص نفسه أو لغيره ... ولو نظرنا إلى علمائنا المتقدمين لرأينا -كما قلنا- أن معظمهم اعتمد المنطق كعلم صحيح" (تدعيم المنطق، 8:10).

أما من حيث هوية الخصم: فقد صار ابن تيمية هو العدو الرئيسي الواجب هدمه بكل صورة -لا النظّام أو الجبّائي! يقول د.فودة في ختام كتابه الكاشف الصغير: **"المطلوب الحقيقي من هذا الكتاب هو تحقيق عقائد أهل السنة وتمييزها عن عقائد أهل البدعة أو إن شئت قلت تمييزها عن عقائد ابن تيمية" (الكاشف الصغير، 469).**

أما من حيث التحالفات: فرغم أن د.فودة وضع في عام 1996 كتابا للرد على معتزلي سماه (الانتصار للأشاعرة)، إلا أنه منذ البداية وهو يفرق بينهم وبين السلفيين حتى وإن سب أنصارهما، فيقول في معرض رده: **"كم كنت أتمنى أن يظهر الخلاف بين الأسلوب الذي يتبعه من يدعي اتباع المعتزلة والأسلوب الذي يتبعه الوهابيون في هذا الاتجاه، خصوصا أنه ينبغي أن يظهر هذا الاختلاف بين المنهجين للاختلاف الحقيقي بين فكر المعتزلة وفكر الوهابية الذين هم المجسمة على التحقيق، ولكن ربما كان الباعث الأكبر على الاشتراك هو اتصاف كثير من أتباع كل من هذين المذهبين في هذا الزمان بالجهل الكبير والغباء المدقع"**.. ثم بعد أقل من عقدين من الزمان صار أكثر لينا مع المعتزلة، فيقول على صفحته الشخصية بالفيسبوك في مدحهم بتاريخ 2 أغسطس 2012 : **"كل ما قاله فلاسفة الغرب ناقشه المتكلمون منذ زمن وبحجج أقوى على يد الأشاعرة أو المعتزلة، لو أعاد الله إحياء مذهب**

المعتزلة لكانوا عونا لنا هذه الأيام. يقول الإمام السبكي: هاتان الفرقتان -أي الأشاعرة والمعتزلة- هم فحولتا الإسلام وهم كفرسي رهان"!

إذن لم يعد المعتزلة -بعدما صاروا من الفرق البائدة- هم العدو الرئيسي؛ بل أكثر من هذا: هناك أمنية بعودتهم لكي يكونوا عونا لأهل السنة في ذلك العصر[2]!

لم يعد الأشاعرة والمعتزلة خصمان: بل صارا زميلان متشاكسان والسلفية (التيمية) هي الخصم الحقيقي، والعدو الأول الذي يُرجى الاستعانة في مجابهته حتى بالمعتزلة العدو العتيد!

وكسر السلفيّة بأفكارها: الرافضة للمنطق والكلام والخافضة من شأن العلوم العقلية، ورموزها: التي تكاد تكون كلها فروعا من ابن تيمية -هو الهدف الرئيسي للأشعرية الجديدة وفي قلبها الأيدولوجيا الفوديّة.

وخلاصة الأمر: أننا لو جسدنا العدو السلفي واختصاره في اسم واحد: فهو ابن تيمية.. قلب السلفيّة المُعاصرة!

[2] ما أعجزهم أهل سُنَّة أولئك حين يفتقرون إلى المعتزلة في رد كيد المبتدعة!

الفصل الثالث: قلب العدو، اس تيمية.

يمثل ابن تيمية رحمه الله حالة نادرة في تاريخ علماء الأمة: من حيث الإكثار من التأليف وعدم الاقتصار على فن أو فنين من علوم الشريعة. ومن حيث التفنن في الردود على الخصوم -وما أكثرهم في عصره المضطرب- وفي قلبهم كان الأشاعرة لغلبة نفوذ أفكارهم وأصولهم في هذا الوقت على الأمة خاصة أن المماليك كانوا قد ورثوا الأسس العقدية والتنظيمية والمؤسسية للأيوبيين الذين أبادوا المذهب الإسماعيلي ا لشيعي من قلب الأمة والحركة وقتها: مصر والشام، ثم وطّنوا الأشعرية بديلا لها كعقيدة وحيدة للدولة.

أما من حيث مشاركته الفعالة في الجهاد العسكري فحدث ولا حرج: تارة بالمجابهة القوليّة، مثلما وبّخ الملك التتري الغاشم قازان واتهمه وجيشه بالنهب وزعم الإسلام ورفض طعامه مما أثار رعب مرافقيه من العلماء حتى قال أحدهم: **"جعلنا نجمع ثيابنا خوفا من أن تتلوث بدمه إذا أمر بقتله. فلما خرجنا من عنده قال قاضي القضاة نجم الدين بن صصري وغيره: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك. والله لا نصحبك من هنا. فقال: وأنا والله لا أصحبكم" (ابن كثير، 166/14)**. وتارة أخرى بالثبات في دمشق وقت هروب السلطان والجيوش والعلماء وتحفيزه على عدم الاستسلام للعدو مهما جرى كما حدث في وقعة قازان ونصائحه للأمير أرجواش بالدفاع عن قلعته ودمشق بالرغم من مطالبة أعيان البلد والأمير قبجق له بالاستسلام للتتار وتسليم قلعته ودمشق، فقد قال له: **"لو لم يبق فيها إلا حجر واحد فلا تسلمهم ذلك ان استطعت" (ابن كثير، 79/14)**. ثم بالمشاركة الفعليّة وشهود القتال في المعركة الأشرس: شَقحَب، وقولته المشهورة للناس قبلها: **"إذا رأيتموني من ذلك الجانب[3] وعلى رأسي مُصحف، فاقتلوني!" (ابن كثير، 14 /96 : 99)**.

---

[3] أي: جانب التتار.

ومن حيث مجابهته للضغوطات ورفضه للين أمامها حفاظا على عقيدته واعتزازا بها -فيكفي لبيانه سبر أسماء ومناصب خصومه من العلماء وقت ردوده عليهم ومناظراتهم لإدراك شجاعته الفائقة في الدفاع عن معتقده مقابل إرهابهم العلمي والسلطوي الذي ذهب به للسجون طويلا، ورفضه التراجع عن ذلك مقابل الإفراج عنه. وللدكتور فودة في هذه النقطة الأخيرة تأويل غريب، حيث حول ذلك الصمود وتلك الشجاعة إلى جبن وخوف ومدح لسجانيه! فيقول في كاشفه "**هذه الأقوال كان العلماء في زمن ابن تيمية قد تأكدوا أنه يقول بها ويصرح بها وينشرها على عامة الناس ويستدل ملبسا على العوام بالأحاديث والآيات المتشابهات فلما ناظروه وأثبتوا عليه أنه قائل بها حكموا عليه بالسجن حتى يتبرأ من هذه البدع التي تلبس بها. وهو تصرف سليم تجاه رجل مثل ابن تيمية. ثم لما طال زمن حبسه أراد هؤلاء العلماء السعي في الإفراج عنه ولكنهم اشترطوا عليه نزولا على حكم الشرع التبري عن هذه البدع التي ثبتت عليه فوضعوا تبريه عنها في مقابل الإفراج عنه. لكنه حتى وهو في السجن لاحظ أنه إذا تبرأ من هذه التهم فإن تبريه منها هو بحد ذاته اعتراف منه بأنه كان يقول بها وقد كان ينكر أنه يقول بها في السابق... وهو ينكر أنه كان يقول بهذه الأقوال لأن واحدا من هذه الأقوال لم يرد في كتاب ولا سنة[4] فهو كما ترى كان بين أمرين كلاهما مر، الأول البراءة من هذه الأقوال والثاني البقاء على التصريح بها فلذلك فضل البقاء في السجن على إنكاره لهذه العقائد... ولكنه في هذا الاختيار قد وقع في التناقض الصريح الذي دفعه إليه دفعا هذا الموقف القبيح**" (**الكاشف الصغير، 467**) هكذا تحولت الشجاعة والثبات على المعتقد =إلى خوف وجبن وهروب ناتج عن موقف قبيح وهو ظهوره على مناظريه / وتحول عجز العلماء عن مناظرته وهرولتهم إلى الدولة لاستعمال الحل الأمني بسجنه =إلى الموقف الممدوح والتصرف السليم!

---

[4] ألم يكن منذ لحظات يلبس على العوام بالأحاديث والآيات؟!

قد يُفهَم هذا الكلام من شخص لا يتفاخر بالعقليات والمناظرات وقدرات أئمة الأشاعرة الخارقة على سحق المنافسين بالمناظرات فقد كانوا في الماضي هم **سادة النقد والرد على المخالفين وأهل البدع (السنوسية، 14)** حتى جعلت أحد خصم الرازي مثلا **يبكي من هول ما يلاقيه من هذا الإمام (الكاشف الصغير، 14)** -لكن يُفهَم من د. فودة؟!

* الخلاصة:

أن ابن تيمية قدوة لطالب العلم الشرعي مطلقا: من جهة التبحر في العلوم والفنون والتأليف فيها.

وهو منارة لطالب العلم الشرعي المعاصر تحديدا: حيث كثرت الفرق وتشعبت وصارت أصولها الفكرية والعَقَديّة مُركَّبة مُعقَّدة تحتاج منه إلى بناء قاعدة متينة في مسائل الولاء والبراء وتحكيم الشريعة -وقد كان الإمام ابن تيمية من المكثرين في ولوج تلك النقاط والإسهاب فيها لطبيعة أحداث عصره ونوازلها الكبيرة.

وهو قدوة للمجاهد الحديث بصورة خاصة: لأنه المسهبين في توصيف وفضح ومكافحة أنموذج عام في زماننا، وهو العدو الذي ينطق الشهادتين، ويزدري الشريعة ويطارد المطالبين بها لينكل بهم: (الطائفة الممتنعة).

وهو قدوة لمن يجابهون الاضطهاد والظلم والاعتقال: ومقولته في السجن تعتبر من أشهر المقولات الأدبية الرائقة عن السجون: **مايصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري أين رحت فهي معي لا تفارقني. إن حبسي خلوة وقتلي شهادة وإخراجي من بلدى سياحة (الجوزيه، 48)**.

فلا عجب أن الكثيرين يجدون مبتغاهم عنده: طلاب العلوم الشرعية بالُمطلق؛ ثم كافة الأصناف ابتداءَ بالمجاهدين مرورا بالمظلومين والمضطهدين وصولا إلى المنشغل بالعلوم الشرعيّة ومجابهة أباطيل المبتدعة! وبالتالي فهناك ألف سبب كي يتم

مجابهة فقه السلف والإمام ابن تيمية أو تأويله في كل مكان - ما دمنا في عصر حكومات الجبر وممالكه!

لقد كانت رؤية ابن تيمية رحمه الله أكبر من مجرد مدرسة خشنة وجدت موطنا في بداوة نجد كي تتوطن وتتمدد كما يحاول أعداؤه التصوير عن طريق خلط أفكاره كلها بمدرسة الشيخ ابن عبدالوهاب والدول السعودية المتعاقبة (الأيدولوجيا السعودية) بأخطائها وتجاوزاتها في الممارسة، وجعلها هي فكر ابن تيمية بالكامل وقد تم تنزيله: كل فتوى وكل زلة هي (تيمية) أو من (أتباع ابن تيمية) وسببها الأول هو (ابن تيمية)!

أضف إلى ذلك: أن النهضة الثانية للعلوم الشرعية في القرن الماضي، والتي -ما عدا مملكة آل سعود الثالثة- جاءت خارج الأطر الرسمية للدول وعن طريق الحركات الإسلامية بالذات، بما تتميز به هذه الحركات من عزوف عن التبحر في الغوامض والتنظيرات غير العملية[5]. كما أنه، فوق كل ذلك، وبمقارنة بسيطة مع النموذج العقدي الذي يقدمه الإمام ابن تيمية ويسهب فيه، يسهل جدا تحديد أيهما أكثر قربا من الصحابة والسلف الأول: إنها العقيدة الأبسط والأكثر وضوحا والأقل غموضا! من الصعب مثلا أن تؤمن أن الخوض بصورة مكثفة في شرح (المعقولات الثانية) أكثر قربا لعقيدة السلف ومنهجهم من ذكر الآيات والأحاديث وغياب الشروح الفلسفية!

أتذكر مقولة قرأتها يوما لنقاش بين اثنين من طلبة العلم كانت بليغة جدا في تفهيم هذا المعنى: كان الأول يؤكد أن أغلب الأمة أشاعرة (والأمة كان لا يحصرها هنا على العلماء كما يبدو لأنه قال مئات الملايين) فرد عليه صديقه بما معناه أن (لا تخادع نفسك! انزل الآن للشارع واسأل عوام الناس مباشرة أين الله ثم حدثني عن تلك

---

[5] ربما صارت تجد علم الكلام ثقيلا غامضا فاقدا للصلاحية وخارج الاهتمام العالمي والغربي حاليا بصورة واضحة!

الأمة التي أغلبها أشاعرة! وقد مر بنا كلام د. فودة عن انتشار العقيدة السلفية بين الأمة في الوقت الحاضر.

فإذا تمثلنا الإخوان باعتبارها أكبر جماعة إسلامية حركية وجِدت في القرن الماضي سنجد عزوفها عن الخوض في علم الكلام ظاهرا. وفي هذا النص المنقول من مقال محمد السيد الصياد بموقع ويكبيديا الإخوان تحت عنوان الإخوان المسلمون والمنهجية العقدية يجلو السبب: "**الإخوان حين يتعلمون العقيدة الإسلامية ويعلمونها، لا يؤثرون الجانب السفسطى العقلي والتنظير المجرد علي التطبيق العملي والثمرة المرجوة والغاية المنشودة من دراسة وتعلم تلك العقيدة. فالعقيدة في فكرهم هي صناعة الحضارة وبناء النهضة وترشيد القيم والسلوك وسوق الجماهير إلي باريها. أو إذا شئت فقل بأن هذه ثمرة العقيدة، وبأن العقيدة التي لا ثمرة تُرجى من وراء تعلمها فهي عقيدة فاسدة** " هكذا تتعلق القضية بالحركة والحضارة والعمل، ويُفهم النفور الواضح من التنظير الضخم.

وكم يندهش المرء من زعم الأستاذين سعيد حوى ويوسف ندا أن الجماعة أشعريّة المعتقد! فهي لم ترتكز على خط كلامي وعقدي واحد حتى يصح نسبتها للأشاعرة أو لغيرهم، وهي حاوية فعلا لسلفيين وأشاعرة بل وهناك خط علماني واضح في العقدين الأخيرين! وكلمة الشيخ الدكتور نزار ريان رحمه الله مشهورة مسجلة في فيديو معروف عندما انفعل قائلا "**أنا عالم سلفي لا أعرف إلا الكتاب والسنة، أنا لا تقودني حماس في الشرع. أنا أقود حماس من الناحية الشرعية**" فهل حماس ليست محسوبة على الإخوان؟ أليست درة التاج؟!

فالأمر ليس راجعا فقط لنفوذ المال والسلطة الذي وفرته دولة آل سعود الأخيرة في نهاية الألفية الماضية لمئات التجمعات التي صارت سلفية -وإن كان تجاوز ذلك أو التقليل من أثره هو هذر لا يليق، لكن الحركة الإسلامية إن لم تجد في يدها بالقرن الماضي تراثا لتيسير العقيدة ومجابهة خرافات الصوفية وتجاوز علوم الكلام والمنطق الأرسطي وصراعاتهم النظرية البحتة التي تجاوزتها النهضة الغربية -كانت ستقوم

هي نفسها بإنتاج ذاك دون انتظار لابن تيمية! فأحد سمات تلك الحركة الإسلامية في النهاية أنها ابنة عصر النهضة الغربية المشغولة بالعمل والحركة والأيدولوجيات والتعمّق في سبر المعرفة ووسائلها ومناهجها بما تنطوي عليه من آثار عملية (الأبستمولوجيا) والعازفة عن (الأنطولوجيا)، وكل سمة لا تخالف الإسلام في الغرب الحديث تم تبنيها على الفور حتى جاوز ذلك في بعض تيارات الحركة القدر المعقول إلى الغلو في (تكييف) الإسلام بالكامل ليوافق الغالبين و(تغريب) الإسلام بصورة شاملة مثلما ناقشت في كتابي (الإسلاموطوبيا)!

وابن تيمية رحمه الله له أوجه كثيرة رئيسية مُحرّم تبنيها في هذا العصر، الجهاد ومجابهة الظلم وقولة الحق ورفض البدع والتأويل البعيد عن السّنة. هو عدو للنظام العالمي وعدو للجماعات الوظيفية الحاكمة أو المُعارِضة وعدو للصوفية المُخدِّرة للشعوب وعدو للأشعرية الرابضة في عصرها الثاني بمؤسسات متحالفة مع الحكام. كما أن سيرته تثبت أنه عدو لصنوف كثيرة من السلفية نفسها تنتسب إلى مدرسته زورا ثم تتحدث عن وجوب طاعة الحاكم أيا كان ووجوب المداهنة وإخفاء الحق وعدم مجابهة الظلم كأتباع الفرق الجامية والمدخلية قبحهم الله، والانصراف عن الجهاد والحركة والانعزال عن الواقع ونكبات الأمة بزعم الانغماس في العلوم الشرعية كما يصنع كثير ممن يسمون أنفسهم بالسلفية العلميّة هداهم الله، فسيرة الإمام ابن تيمية العملية، لو فقه أصحاب تلك الاتجاهات- أبعد ما يكون عن تلك المخابرات والعلمانيّات الملتحية!

لهذا كله، وللعلاقة الدافئة بين الأشاعرة العرب والحكام: فالرد على ابن تيمية وأفكاره العقدية والعملية كلها كان وما زال من الأمور الممدوحة والمطلوبة بشكل عام في الدول ذات المؤسسية الأشعرية، أما في الدول ذات المؤسسية السلفية فتأويل كلامه في القضايا العملية الخطيرة وصرفه عن وجهه =ممدوح ومطلوب! فابن تيمية -وعلى النقيض مما يروِّج له مخذولو الأشاعرة- ما زال مضطهدا حتى الآن، ولو كان حيا في قلب نجد نفسها لكان مكانه في سجن الحاير!

لكن التأويل والتحوير السلفي - ليس كالإسقاط التام والمجابهة الأشعرية العنيفة لخصمها وخصم الحكومات والدول والنظام العالمي بأسره!



الفصل الرابع: عن رسالة الإخميمي.

هذه رسالة صغيرة جدا، كتبها الشيخ الإخميمي ردا على شخص من أتباع عقيدة الإمام ابن تيمية هاجمه في مسألة إمكان حوادث لا أول لها. وفيها إيجاز شديد وعصبية وغضب واضحين ثم تنتهي سريعا.

وبالرغم من نسبية المسألة التقديرية إلا أني أظن أن أي قارئ للرسالة سيعلم كون المخطوطة لا تستحق -وسط ركام مئات الآلاف من المخطوطات- أن يتم تحقيقها ثم نشرها. هذا شيء ربما يعلمه د. فودة نفسه، ما يفسر تقديمه الكتاب بمقدمة حاول تطويلها عن الشيخ ثم قدم نص المخطوطة منفردا ثم بعد هذا أتبع المخطوطة بنصها زائد شرحه الذي أطال فيه جدا جدا ثم في النهاية لم يجد مفرا من إضافة كتيب آخر له في الرد على ابن تيمية في مسألة تتعلق بهذا الموضوع!

وليس صغر الرسالة مبعث الاعتراض: إنما تحميلها فوق ما تحتمل باعتبارها ردا صاعقا! لكن أحسب أن هذه الرسائل وغيرها هي مجرد وسائل لتعزيز موقف المدرسة الفوديّة والأشعرية الجديدة باستخدام رهبة أسماء (العلماء) الذين ردوا على الإمام ابن تيمية في تعزيز توجّههم الذي يرُكِّز العداوة عليه؛ فالمسألة لا تتعلق بقيمتها في ذاتها إنما في قيمة تاريخ وضعها واسم واضعها، وقد علق عليها د. فودة ونشرها في 1997 ثم أعاد نشرها في 2014 بتعديلات محدودة.

أيا كان، فقبل الانتقال للرسالة نفسها وتحقيقها واستخلاص سمات المدرسة الفوديّة منها، لابد من تقديم موجز مختصر جدا عن القضية محل الخصام وآراء الجانبين فيها مع بعض نقولات عن الإمام ابن تيمية أجدها ضرورية -حتى وإن كانت القضية العلميّة بذاتها ليست محل هذا البحث؛ لكن يحسن التعرف على مبادئها وأبعادها بإيجاز شديد.

الفصل الخامس: أصل القضية المُشكله، هل هناك بداية؟

إن موجز عقيدة الإمام ابن تيمية رحمه الله في هذه المسألة هو:

أن الله قديم بلا بداية.

وأن المخلوقات بأعيانها حوادث خلقها الله.

أما نوع الحوادث والمخلوقات =فهي قديمة بقدم الله ليس لها بداية.

لماذا؟

لأن الله حي.

والحياة بلا ابتداء تستلزم الفعل بلا ابتداء.

و القول بأن الله كان لأفعاله بداية يعني أنه قبل هذه البداية كان مُعطَّلا عن الفعل بإطلاق =فهو تعطيل لصفة الحياة، فما الحياة إلا الفعل؟!

وصفة (القديم) معناها ألا بداية له، وأنه الموجود في الأزل بصفاته هذه ومنها الحياة.

أما إذا قلت بالبداية فأنت واقع في معضلة:

فهذا يعني أن الله قبل هذه البداية كانت بعض صفاته كالحياة والخلق مُعطَّلة ثم بدأت تلك الصفات في الظهور في لحظة ما بظهور الحوادث -وحاشاه.

إذن ما حل تلك المعضلة: حلها دحض فكرة استحالة وجود حوادث لا أول لها مع مزيد تفصيل لفكرة الحوادث نفسها وتقسيمها إلى (نوع الحادث) و (عين الحادث) =فالنوع قديم لا أول له، لا كعين الحادث.

بهذا يتم حل معضلة تعطل صفات الله الأزلية قبل خلق الحوادث بأعيانها.

كان هذا - باختصار شديد مُخلٍ لا محالة - هو اجتهاد الإمام ابن تيمية رحمه الله لحل هذه المعضلة النظرية المُعقَّدة[6].

أما العقيدة الثانية الأشهر والتي يتبناها الأشاعرة فهي باختصار شديد:

أن كل حادث لابد له من مُحدِث.

وأن من المستحيل وجود سلسلة من الحوادث بلا بداية (دون تفصيل التقسيم لنوع وعين).

=وعليه فلابد من أن يكون كل فعل مخلوقا بفاعل، مسبوقا بعلم وإرادة وقدرة.

وتظهر خطورة إثبات وجود حوادث قديمة، بأي نوع أو شكل: في أن هذا يلزم منه أن الله موجِب بالذات لا فاعل بالاختيار -ويماثل هذا نظرية الفيض الإغريقية المرتبكة عن الإله الذي تصدر منه المخلوقات والحوادث التي هي قديمة من وجه -الهيولى مادة العالم على الأقل- وحادثة من وجه آخر -المعلول وعلته-!

أضف إلى هذا أن الأشاعرة يعتبرون من الهرطقة الإيمان بأن ذات الله قد تكون محلا للحوادث لوجود مقدمة عقلية عندهم بأن (ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث) بالتالي فحتى لو قلت بأن الحوادث لا يلزم منها أن توجد بذاتها منفصلة قديمة؛ فلن يتفهموا هذا الأمر -لأن ذات الله منزهة عن الحوادث والقول باحتمال هذا لا يعني عندهم سوى أمر واحد لا محالة: أنك تقول بأن الله حادث والعياذ بالله! هذه المسألة ضعها دائما في خلفية أغلب قضايا ومعارك الإمام ابن تيمية رحمه الله مع الأشاعرة ومنها هذه القضية التي إن دققت فيها ستجدها موصولة بها في خلفية المسألة؛ فكل القضايا الكبرى الصارخة بينهم (لازم الجسمية واللاجسمية بما يتفرع

---

[6] لمزيد من التفاصيل والتوسع في فهم القضية أرجو مراجعة بحث "قدم العالم و تسلسل الحوادث بين شيخ الإسلام ابن تيمية والفلاسفة مع بيان من أخطأ في المسألة من السابقين والمعاصرين". تأليف كاملة الكواري وتقديم الدكتور سفر الحوالي.

منه من إثبات أو نفي لحدِ وتناهِ وجهة ومكان وجوارح وأركان وأعضاء وحركة- القدم النوعي والعيني - حلول الحوادث في الذات) مرتبطة بعضها ببعض بصورة أو بأخرى.

***

ضع إذن هاتين النظريتين بجوار بعضهما البعض وحاول فهم وإدراك وجهة نظر كل فريق بلا تعصب، لتعلم حجم الإشكالية ودقتها وقدرها وصعوبة الفصل فيها برأي يجعلك تسب وتلعن وتحقِّر وتُبدِّع الآخر بكل المسالك!

لكن ربما تكون مقولة الفيلسوف الفرنسي لي رون دالمبير فيها جانب كبير من الصحة: " **ينبغي علينا ألا نندهش عندما نجد أولئك الذين يطلقون على أنفسهم اسم الميتافيزيقيين قلما يحترم بعضهم بعضا. وأنا لا أشك مطلقا في أن صفة الميتافيزيقي هذه قد أصبحت مهانة أمام العقل السليم مثلها مثل كلمة السوفسطائي التي كانت تعني قديما الحكيم" (إمام، 28)**! هذا مع تبيان أن مقصد الإمام ابن تيمية رحمه الله من ولوج عش الميتافيزيقا والكلاميات والتعمق فيها لم يكن تشجيع خلفه، على عكس مقصد د. فودة تماما!

ومن الضروري كذلك التذكير بأن الإيمان بهذا المعتقد (أي الإيمان باستحالة وجود حوادث لا أول لها) مما اعترض به الشيخ الألباني نفسه رحمه الله على الإمام ابن تيمية في أحد تعليقاته على شرح الطحاوية[7] -فلا يقولن قائل من هذا الجانب أو ذاك أن الإيمان بقول الاستحالة في هذه المسألة هو علامة على السلفية أو الأشعرية! إن قلت بعدم الاستحالة: فأنت سلفي! وإن قلت بالاستحالة: فأنت أشعري! فها هو أحد أعلام أهل الحديث والسلفيّة يقول بالاستحالة، ثم لا يطعن في مُعتقد الإمام ابن تيمية ناسبا فكرته لأهل الفلسفة والزندقة ومُبدِّعا إياه طاعنا فيه بإلزامه بما لا

---

[7] راجع مقدمة الدكتور سفر الحوالي في بحث الكواري المذكور سابقا.

يلزم كوجود مخلوق لا بعينه قديم مع الله كما جادل د. فودة كثيرا لإثبات هذا اللازم وبالتالي إثبات أن ابن تيمية يقول بوجود قديم مع الله!



الفصل السادس: نصوص محكمة وهامة للإمام ابن تيمية.

هذه بعض أقوال هامة وضرورِيُة للإمام ابن تيمية لابد أن يعلمها أي قارئ للرسالة قبل رؤية تعليقات د. فودة أحببت أن أوردها هنا من باب إكمال الصورة:

- القديم واجب الوجود: " **قد عُلم بضرورة العقل أنه لا بد من موجود قديم غني عما سواه، إذ نحن نشاهد حدوث المحدثات كالحيوان والمعدن والنبات، والحادث ممكن ليس بواجب ولا ممتنع، وقد عُلم بالاضطرار أن المحدَث لا بد له من محدِث، والممكن لا بد له من واجب، كما قال تعالى: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ}، فإذا لم يكونوا خلقوا من غير خالق ولا هم الخالقون لأنفسهم تعين أن لهم خالقا خلقهم.**

وإذا كان من المعلوم بالضرورة أن في الوجود ما هو قديم واجب بنفسه، وما هو مُحْدَث ممكن، يقبل الوجود والعدم، فمعلوم أن هذا موجود وهذا موجود ولا يلزم من اتفاقهما في مسمى «الوجود» أن يكون وجود هذا مثل وجود هذا، بل وجود هذا يخصّه ووجود هذا يخصه" (الرسالة التدمرية، 20).

- "**إذا قال القائل: فلم يحدث الحادث إلا بسبب حادث، ثم زعم أن الحادث الأول يحدث بغير سبب حادث فقد تناقض، فإن قوله: لا يحدث حادث قول عام، فإذا جوز أن يحدث حادث بلا بسبب فقد تناقض، ويسمى تسلسلا.**

ولفظ التسلسل يراد به التسلسل في العلل والفاعلين والمؤثرات: بأن يكون للفاعل فاعل، وللفاعل فاعل إلى ما لا نهاية له، وهذا متفق على امتناعه بين العقلاء.

والثاني: التسلسل في الآثار: بأن يكون الحدث الثاني موقوفا على حادث قبله، وذلك الحادث موقوف على حادث قبل ذلك، وهلم جرا، فهذا في جوازه قولان مشهوران للعقلاء، وأئمة السنة والحديث ـ مع كثير من النظار أهل الكلام والفلاسفة ـ يجوزون ذلك، وكثير من النظار وغيرهم يحيلون ذلك" (درء تعارض العقل والنقل، 1 /322).

- " أما لفظ الجسم والجوهر والمتحيز والعرض والمركب ونحوها من الألفاظ الاصطلاحية التي تكلم بها أهل الخصومات من أهل الكم في الاستدلال بمعانيها على حدوث العالم، وإثبات الصانع، والإخبار بها عن الله نفيا وإثباتا، فهذا لا يعرف عن أحد من سلف الأمة وأئمتها، الذين جعلهم الله أئمة لأهل السنة والجماعة، في العلم والدين، بل المحفوظ عنهم المتواتر إنكار ذلك وذم أهله، وصرحوا في ذمه بذم هذا الكلام - الجسم والعرض- " (بيان تلبيس الجهمية، 1 /220).



الفصل السابع: أهم السمات الفوديّة.

أولا: تحقير ابن تيمية عقليا وعلميا ونفسيا.

أ. التحقير العلمي والعقلي.

يبتدئ د.فودة كتابه بنقل عن الإمام النووي رحمه الله، ظاهره أنه يتحدث فيه عن قضية تعيين فرد باسمه وتبريرها، وإن كان النقل أحسبه لم يقصد هذا الهدف تحديدا، لأن مؤلفات د.فودة وسبه لابن تيمية معروف مشتهر؛لكني أحسب أنه موجود في البداية لهذه الجملة "**بيان غلطه لئلا يُقلَّد أو بيان ضعفه في العلم لئلا يُغترّ به ويُقبل قوله فهذا ليس غيبة بل نصيحة واجبة**" -فتبيين ضعف ابن تيمية في العلم وتحقير شأنه من أهم الأسس التي تقوم عليها الفوديّة في ذم ابن تيمية؛ لهذا لم يكن من المستغرب أبدا أن يقوم د.فودة بتعديل عنوان الرسالة من "**رسالة في الرد على شيخ الإسلام ابن تيمية في حوداث لا أول لها لعبد الوهاب الإخميمي**" إلى الآتي "**رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألة حوادث لا أول لها**" فحذف لفظ شيخ الإسلام؛ ثم وضع في بداية مصنفه تنبيها إلى حذفها رغما عن أنف المخطوطة لأنه لا يعقل أن الشيخ الإخميمي يستعمل لفظ "شيخ الإسلام" هذا: " **كيف يُطلق عليه شيخ الإسلام وهو يُطلق عليه ابن تيمية مُجردا أو يقول عنه أحيانا: قلت وهذا الرجل أعني ابن تيمية. وأكثر ما يستعمله في وصفه قوله: الشيخ ابن تيمية. ولذلك أسقطنا وصف شيخ الإسلام من عنوان الغلاف**" (**الإخميمي، 9**)وهذا تبرير عجيب جدا من د. فودة فهو يحاول إلصاق تحقير ابن تيمية بالشيخ الإخميمي فيقول عن الإخميمي "**كان يخالفه في أهم آرائه ويستخف بما يدعيه ابن تيمية من دقة فكر وحدة نظر**" (**الإخميمي، 12**) رغم أن أول صفحة في الرسالة المنسوبة إليه يقول الإخميمي فيها: " **الشيخ الإمام العلامة تقي الدين المعروف بابن تيمية**"

(**الإخميمي، 45**) ولا يكاد يوجد حرف في الرسالة يسخر من الإمام ابن تيمية نفسه أو يستخف به!

وقد قال الشيخ الإخميمي في أول صفحة بالرسالة التي حققها د.فودة نفسه ما ينفي أنه كان يتحدث عنه بإزراء وتحقير شأن!

والحمد لله أن د. فودة لم يمد يده لحذف هذه الأوصاف من تلقاء نفسه هذه المرة أيضا! ومع ذلك فقد امتدت يد د. فودة لتعديل عبارة أخرى دون داعٍ في الظاهر وهي "**القول بأن ليس لها أول مُحال وتلتبس على الجهال**" إلى "**القول بأن ليس لها أول مُحال وتلبيس على الجهال**" (**الإخميمي، 46**) ثم علق بهدوء في الهامش: "**في الأصل: وتلتبس، وصححتها كما ترى**"!!

لكن التدقيق في الفارق ييسر عليك معرفة سبب تدخله: فالعبارة الأولى لا تعني بالضرورة قصد وتعمد التلبيس وخداع الناس؛ بينما صارت بعد التعديل حاملة لمعنى القصد والتعمد وهو المطلوب! فابن تيمية كان يلبس على الناس وهو عالم بتلبيسه وتدليسه - لا يقول كلاما يلتبس على الجهّال بلا قصد! هكذا يأبى الدكتور حتى ترك كلمة مثل هذه في المخطوطة بلا تعديل لتصير أكثر حدة وأكثر غمزا وطعنا في أخلاقيات وديانة ابن تيمية!

وليت هذه السمة اقتصرت فقط على الحذف والتعديل لما يمكن تعديله أو تأويله من أوصاف احترام الإمام ابن تيمية التي قالها أمثال الشيخ الإخميمي؛ فأنت ترى الشيخ تاج الدين السبكي نفسه يصفه بالشيخ العلامة تقي الدين ابن تيمية (**معيد النعم، 24**) ويأخذ بفتواه وفتوى أبيه في قتل ساب الرسول رغم ما قاله والده في حق ابن تيمية!- وكم تعجب من استناد د. فودة على مدح التاج السبكي للشيخ الإخميمي "**فأنعم بمن كان رفيقه في النظر تاج الدين السبكي وهو من هو براعة وتقدما في سائر العلوم**" (**الإخميمي، 33**) ثم تجاهله وصف التاج لابن تيمية بأنه علامة وأخذه بفتواه! بل إنه اعتبر مجرد وصف السلامي وشمس الدين الحسيني

2غللإخميمي بأنه "إمام" و "علامة" شهادة لابد من ذكرها لتبيان أهميته وعلو قدره؛ فماذا عن وصف الإخميمي نفسه لابن تيمية أنه "**الشيخ الإمام العلامة**"؟!

- لكن الأمر يتعدى ذلك إلى نثر عبارات الإزراء بعلمه وحججه بأسوأ الأساليب والألفاظ في كل مكان بكتب د. فودة، ومنها تلك الرسالة، فيقول مثلا عن أحد أقوال ابن تيمية: "**هذا مثال من أمثلة من تلبيسات ابن تيمية في البحوث الكلامية والعقلية يقلب الحق باطلا والباطل حقا ويوهم الناس أن أكثر الخلق على قوله هو والواقع خلاف ذلك**" (**الإخميمي، 19**). وهو يعلق على كلام للإخميمي يشرح به كلام الإمام ابن تيمية بصورة موجزة قائلا: "**هذا البيان بهذه الطريقة الواضحة المختصرة يعجز عنه ابن تيمية نفسه وأتباعه**" (**الإخميمي، 22**) ويقول عن إحدى أفكار الإمام ابن تيمية: " **لجأ ابن تيمية لذلك الخيار لأنه عجز عن حل شبهة المتفلسفة وعن الرد على دليلهم فاعتقد أن لا جواب إلا بما فعله وتلبس به! وتراه يفاخر بذلك في كتبه**" (**الإخميمي، 23**) وحتى في مسألة خاصة داخلية (أشعرية-شافعية) عن علم الكلام، يقول الآتي بعدما نقل الأقوال الثابتة التي لم يستطع تضعيفها للإمام الشافعي في تحقير الكلام وأهله ورد على هذه الأقوال بنقولات للغزالي تؤول هذا التحقير: "**مسألة ذم علم الكلام من المسائل التي وقع فيها الخبط والخلط المتعمد من ابن تيمية، قاصدا التشغيب على الناس وخلط الحابل بالنابل ... بعض الكلمات التي وردت عن المتقدمين من الأعلام اعتمد عليها من قصر فهمه، وظن أنهم يذمون علم الكلام مطلقا**" (**الإخميمي، 104**) فابن تيمية يتم استدعاؤه وسبه حتى في مسألة كانت بين إمامنا الشافعي وخلفه من متكلمي الشافعية الذين حاولوا تأويل كلامه!

ثم في الرسالة الملحقة بنفس الكتاب يقول "**ابن تيمية لا يتبع في نقاشه للآراء الأسلوب العلمي التحقيقي، بل يعتمد على التلفيق والتحريف كما لاحظنا نحن في كثير من كلامه. وهذا يدل على أنه لا يؤتمن في نقله عن خصومه ولا على نقله من الذين يحتج بكلامهم أيضا لأنه لا يبعد أن يحرف معانيه لكي يظهرها موافقة له**"

(**الإخميمي، 119**) ويقول تعليقا على إحدى نقولاته من ابن تيمية "**قوله: إن هذا هو قول جمهور السلف لا يغتر به إلا الذين لا علم عندهم بأساليبه الملتوية ... ادعى أن السلف يقولون إن الرسول صلى الله عليه وسلم يقعد في الآخرة على العرش بجانب الله تعالى. إلى آخر تفاهاته وادعاءاته التي لا دليل عليها**" (**الإخميمي، 125**) ويقول في نهاية شرحه لإحدى المسائل "**المعلوم أنه لم يخالف أحد في هذه المسألة من فرق الإسلام لا المعتزلة ولا الشيعة ولا غيرهم ولم يخالف في ذلك إلا ابن تيمية هذا**" (**الإخميمي، 136**).. وفي موضع آخر يقول: "**هذا الكلام بهذه الصيغة ما هو إلا تصوير ابن تيمية لمذهب القوم، وإلزامه لهم على ما يفهمه هو، وفهمه سقيم**" (**الإخميمي، 122**).

التحقير في الكاشف.

والحقيقة أن الأسلوب التحقيري والممتلئ بالتوبيخ والتسفيه والإزراء لعقل وعلم وفهم ابن تيمية هو أمر مطرد في كتابات هذه المدرسة، ليس فقط في خلافاته مع الأشاعرة بل وحتى في خلافاته مع النصارى، فيقول د. فودة في كاشفه: "**هو بمذهبه هذا وطريقته في التفكير لا يمكنه أن يأتي بدليل على استحالة كون الله عرضا من الأعراض، ولا يمكنه إفحام النصارى وغيرهم**"[8] (**الكاشف الصغير، 44**).

وفي كاشف د. فودة الكثير والكثير عن ابن تيمية مما قد يملأ -التحقير وحده- كتيبا صغيرا أو كشافا عن ألفاظ تسفيه ابن تيمية أو الاستخفاف بعلمه! ولولا الرغبة في الإيجاز للغرض البحثي لجعلت كاشفه هذا هو موضع الاستخلاص، لكنني أختار منه أربعة مواضع فقط لتأكيد أصالة تلك السمة في المدرسة الفوديّة:

---

[8] ولا أعرف كيف غاب عن د. فودة العالم بكل كتابات ابن تيمية والفاهم لها بقدر عجز عنه كل أتباع ابن تيمية: عن أن الإمام ابن تيمية له مؤلف ضخم بالفعل في إفحام النصارى قد كان ولا يزال من أعمدة الرد عليهم، وأن حججه الرئيسية ومنهجه الرئيسي (أي سبر كتبهم المقدسة وتبيان أغلاطها وتناقضاتها وتحجيم التأويل) هو أكثر المناهج المؤلمة للنصارى في المناظرات حتى الآن -لا المنهج الكلامي!

الموضع الاول:

يعلق د.فودة بعدما عرض ما يظنه نظرية المعرفة الخاصة بابن تيمية وبناء معرفته على الحواس والفطرة، مؤكدا رفضه أن يكون ابن تيمية قد عرف شيئا عن العلوم والمعارف من غير الأشاعرة فيقول: "**ابن تيمية يعرف تماما إذن أهمية الكلام في أصول وأسباب العلوم، بل يعتبره أصلا عظيما يتفرع عنه كثير من الفروع، وهو الأمر الذي لم يدركه أتباعه لغاية هذا الزمان. وابن تيمية قد استفاد ذلك من خصومه، فهو قد استفاد من مثل الإمام الرازي وأبي المعين النسفي والجويني والغزالي والأشعري والباقلاني وغيرهم من أئمة الإسلام .وإلا فمن أين للمجسمة الكلام في مثل هذه المعارف؟!**" (**الكاشف الصغير، 47**) فهو يستغرب أن يكون الإمام ابن تيمية عنده مجرد (علم) أصلا بهذه القضايا (الكبرى) التي ناقشها الأشاعرة فلابد أنه عرفها منهم، هذا والأشاعرة أصلا ما ظهروا إلا بتحوير وتعديل وتهذيب عقيدة المعتزلة التي حورت وعدلت وهذبت عقائد الفلاسفة!

الموضع الثاني:

يقول معلقا على إنكار الإمام لأحد المسائل: "**هذا الإنكار من ابن تيمية يحق للواحد عندما يراه أن يضحك كثيرا، ويهز رأسه استخفافا بعقل هذا الرجل أين ذهب عندما كتب هذا الكلام**" (**الكاشف الصغير، 466**). ولا يلزم التعليق هنا.

الموضع الثالث:

يقول "**لا تظن أيها القارئ أن هذه التناقضات الخمسة هي الوحيدة التي وقع فيها ابن تيمية، بل تناقضاته لو أردنا أن نعدها لبلغت العشرات في مختلف أنواعها، كذلك أساليبه القبيحه الأخرى في مناقشة مخالفيه لو أردنا أن نعد لك المواضع التي لبس عليهم فيها لزاد العدد على ذلك كثيرا ولو أردنا أن نضم إلى ذلك الإلزامات الفاسدة التي يلزمها لخصومه لزاد العدد وخرج عن إمكان الحصر**

وغير ذلك من الفنون التي تبرز تهافت ابن تيمية" (الكاشف الصغير، 468) وهذا الجزء الأخير من الكلام غريب أن يصدر من د. فودة! يتحدث عن الأساليب القبيحة في مناقشة المخالفين والإلزامات الفاسدة لهم؟!

الموضع الرابع:

يقول: **"للكرامية بدع وشناعات وقبائح أخرى عديدة غير هذه، والحقيقة أن ابن تيمية قائل بغالب هذه التفاهات والأقوال وقد أتينا بالدلائل الواضحة القوية على أنه يقول بجميع ذلك وذلك بصريح كلماته التي لا يستطيع أتباعه الجهلة إلا أن يفهموها على ما أراد هو، ولا يمكنهم أن يفسروها بمعانٍ أخرى تنقذ هذا المبتدع من كونه مجسما تابعا للكرامية في أغلب جهالاتهم وأصولهم" (الكاشف الصغير، 30).**

وعلى هذا المنوال تسير كتاباته وكتابات تلاميذ مدرسته =فلنأخذ مثلا محمد أكرم أبو غوش أحد تلاميذه ومشرفي منتدياته الكبار، فهو يقول في تحقيقه لرسالة الأبهري في علم الكلام عن ابن تيمية الذي تم استدعاؤه فجأة في المقدمة دون سبب واضح اللهم إلا وضع الوسم المميز لتلك المدرسة: **" لقد وجدت ابن تيمية ناقلا عن تحرير الدلائل في تقرير المسائل في مناقشة الإمام الأبهري لبعض طرق المتقدمين، فنجد ابن تيمية يأخذ نقد الإمام الأبهري هذا لطريقة غيره ويأخذ نقد غير الإمام الأبهري لطريقة الإمام الأبهري حتى يرى أن طرق الجميع معلولة غير تامة! وهذا عبث لا تحقيق فيه ويقدر عليه كل شخص بأن يضرب كلام بعض الناس ببعض" ثم يستكمل في الهامش ".. لو تُعقِّب ابن تيمية لوجد كثير نقل الاعتراضات من غير تحقيقها إيهاما منه بأنه ذو حجّة وحقيقتها مشاغبة فقط" (الأبهري، 9)** فابن تيمية عند تلميذ د.فودة ليس أكثر من مشاغب يوهم الناس لا أكثر.

فهذه السمة: أي التحقير والاستهزاء والاستخفاف بالعقل والعلم بأقوى الألفاظ الممكنة، تمثل أحد أول وأهم علامة تميز تلك المدرسة.

ب. التحقير النفسى.

(الشيخ الإمام العلامة) ابن تيمية عند د. فودة عنده مشاكل في نفسه مع الأشاعرة تدفعه لذلك التحامل، هكذا يؤمن.

فيتلقف مثلا كلمات الإخميمي الآتية عن ابن تيمية: **"كان لا يخلو عن تحامل على سائر الطوائف حتى على كثير من أصحاب الإمام أحمد بن حنبل (إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي) كان أكثر تحامله رحمه الله على الأشاعرة كالغزالي وأتباعه ومشايخه فكان يقصد الرد عليهم في جميع ما أحدثوه من الأدلة وإن كانت حقا في نفسه" (الإخميمي، 17)** ليعلق عليها قائلا: **"لعل الإخميمي يشير بهذه الآية إلى أن في نفس ابن تيمية أمورا كانت تدفعه إلى ذلك التحامل ... لقد اختص ابن تيمية في الرد على الأشاعرة وهو يطلق عليهم في أحيانٍ كثيرة اسم الجهمية تمويها على الناس وفي مواضع كثيرة يصرح بأسمائهم ... والمنصف يعلم أن أكثر كتب ابن تيمية عبارة عن ردود على الأشاعرة ابتداء وانتهاء ومعارضة لهم ومناكرة إلى حد أن القارئ له يتلبس بنفسه في تصيد كلامهم ورده ولو بالباطل" (الإخميمي، 18)** فدكتور فودة اعتبر أن التخصص في الرد على فرقة -لا على فرد!- يصلح دليلا على كون الذي يرد مصاب بمشكلة نفسية! وهذا من الاستدلالات الغريب صدورها من د. فودة تحديدا بكل تأكيد!

لكن ليت الأمر اقتصر فقط على مشكلة ابن تيمية النفسية ضد الأشاعرة، فهو عنده مشكلة أخرى أكبر: وهي الجبن والخوف والهروب وعدم التصريح بمعتقده الحقيقي!

فعلى عكس ما هو معلوم من شجاعة ابن تيمية تنظيرا وقتالا وثباتا على المعتقد، فإن د. فودة يرجع عجزه عن إيجاد كلام صريح للإمام ابن تيمية يقول فيه بإلزاماته المتكررة الضخمة لدرجة أنه يسهو ذات مرة فيعترف في وسط بحر الإلزامات بأنه **"حتى الآن من خلال بحثنا لا نجزم بأن ابن تيمية يقول صراحة بقدم شيء غير الله، ولكن هذا ما نميل إليه ونرجحه من ملاحظة بعض عباراته"** (الإخميمي، **78**)بتأويل أحسب أن لم يسبق به عاقل!

إذ يرى أن تأويل ذلك العجز راجع لتخوّف ابن تيمية الدائم من الاعتراف والتصريح بعقيدته؛ فتجده يقول: **"الذي نعلمه من حال ابن تيمية أنه كان لا يصرح دائما بكل ما يقصده من العقائد، لأن الحال الذي كان فيه - وهو وجود معارضة شديدة له، وعلماء لا يترددون في مخالفته إذا رأوه نطق صراحة بمثل هذه الكلمات- هذا الحال كان يمنعه من التصريح بكل ما يعتقد، كما يشهد لذلك ما نقلته كتب التاريخ من أحواله مع مناظريه ومحاكميه من العلماء. ولهذا، تجده في غالب كتبه المهمة قد أجرى نقاشاتها على ألسنة أخرى غير لسانه، مع أنه من الواضح أنه إنما يعبر بها عن عقائده الخاصة، وتجده أيضا يكثر من ذكر الاحتمالات ويعوم الكلام بحيث لا يظهر تماما ما يريده، وذلك كله تمهيدا لتخلصه عند السؤال"** (الإخميمي، **87**) ويقول أيضا بعد شرح لأحد إلزاماته: **"هذا الشرح لحقيقة قول ابن تيمية لا أظنك تجده في كتاب آخر. ونحن نعتقد أن ابن تيمية قائل بهذا القول الشنيع مصرح به في كتبه وإن كان لا يذكره بمثل هذه الصراحة والوضوح، ولكن معلوم أنه لا يستطيع أحد من المسلمين التصريح بمثل هذه الشناعات، حتى وإن كان يعتقد أنها الحق. وقد عرفنا حقيقة مقالة ابن تيمية هذه من تتبعنا واستقرائنا لكتبه وكلامه"** (**الإخميمي، 75**) وفي إلزام آخر يقول بعد شرحه: **"هذا اللازم -أي: وجوب الخلق- نحن نعتقد أنه يلزم ابن تيمية تماما، ولكنه لا يعترف به، ويهرب منه بأن يصرح دائما بأن الله تعالى خالق بالإرادة"** **(الإخميمي، 109)** ويقول مقارنا بين أسلوب كلام ابن حجر وكلام ابن تيمية: **"يمكنك أن تقارن الفرق الكبير بين أسلوب ابن حجر هنا في كلامه عن هذا**

الحديث وبين الأسلوب الذي يتبعه ابن تيمية المملوء باللف والدوران والتلاعب بالكلام والافتراضات التي لا أساس لها من الصحة"[9] (الإخميمي، 120).

هكذا فالإمام ابن تيمية عند د.فودة فوق حقارة علمه وقلة فهمه، مريض نفسيا بكراهية الأشاعرة وجبان يخشى التصريح بمعتقده الذي سبره وكشفه د.فودة بعد قرون من وفاته.

ثانيا: تجهيل وتحقير الاتباع أجمعين.

يعلم د. فودة جيدا حجم الانتشار الهائل لرؤى ونظريات الإمام ابن تيمية في كل مجالات العلوم الشرعية ورأسها العقيدة، وهو انتشار لأقوال عالم لا تكاد تجد له مثيلا في تاريخ المسلمين بعد عصر أصحاب المذاهب الأربعة رضي الله عنهم. ويعلم كذلك أن هناك جامعات كبرى متمكنة في مملكة آل سعود أكثر متانة من نظيراتها في بلاد أخرى وعلى رأسهم الأزهر الذي يتحسر د. فودة على حاله ويعتبر أن من البلايا خروج القيادة الدينية للعالم الإسلامي منه **(فودة، نظرة تحليلية)**. لكنه مع ذلك يستخدم أشنع الصفات بصورة مطلقة مع كل من اتبع الإمام ابن تيمية؛ ولا يخفى ما في هذا الإطلاق الزمني من معضلات! فابن كثير والذهبي مثلا ليسا ممن

[9] وهنا أخرج للحظة عن المسألة لأذكر الآتي: ما دام الإمام ابن حجر رحمه الله قد تم إدخاله في سياق ذم وتحقير ابن تيمية، فلابد أن نذكر للقارئ رأي ابن حجر نفسه فيمن يُحقِّر شأن ابن تيمية، وهو الرأي المنقول عنه بواسطة السخاوي الذي اعتمد عليه د.فودة في تصحيح نسبة رسالة الذهبي إليه كما سيأتي: " شهرة إمامة الشيخ تقي الدين أشهر من الشمس، وتلقيبه بشيخ الاسلام في عصره باق الى الآن على الألسنة الزكية ويستمر غدا كما كان بالأمس، ولا ينكر ذلك إلا من جهل مقداره أو تجنب الإنصاف... لقد قام على الشيخ تقي الدين جماعة من العلماء مرارا بسبب أشياء أنكروها عليه من الأصول والفروع وعقدت له بسبب ذلك عدة مجالس بالقاهرة ودمشق...كلهم معترف بسعة علمه وكثرة ورعه وزهده، ووصفه بالسخاء والشجاعة وغير ذلك من قيامه في نصر الاسلام والدعاء الى الله تعالى في السر والعلانية. فكيف لا ينكر على من أطلق أنه كان كافرا بل من أطلق على من سماه (شيخ الاسلام) الكفر؟! وليس في تسميته بذلك ما يقتضي ذلك، فإنه (شيخ الاسلام) بلا ريب ... وقد شهد له بالتقدم في العلوم والتميز في المنطوق والمفهوم أئمة عصره من الشافعية وغيرهم فضلا عن الحنابلة" نقلا عن (الجواهر والدرر. شمس الدين السخاوي: 736. دار ابن حزم).

يسهل إطلاق أوصاف التحقير عليهما! لذا يسهل تفسير ذلك الشغف في مجموعات طلبته بإثبات أن ابن كثير قد تغير وتراجع في آخر عمره، واعتماد د. فودة نفسه، كإمامه الكوثري من قبل، لرسالة الذهبي المزعوم أنه وجهها للإمام ابن تيمية وكلها توبيخ وسب وتحقير له وللأنصار، بل -وكالمعتاد- محاولة إرهابه لكل من يشكك فيها بقوله أنها "**ثابتة النسبة إليه تماما بأدلة كثيرة**" (**الإخميمي، 37**) ويستدل لصحتها بكتاب (**بيان زغل العلم والطلب**) وفيه تقريع مشابه وحط من شأن الإمام ابن تيمية! هذا ومعلوم أن كلتا الرسالتين أفضل ما يقال عنهما أن في صحة نسبتهما للإمام الذهبي جدال شديد، خاصة النصيحة تلك -فهما مناقضتان تماما لسيرة الإمام الذهبي العملية مع ابن تيمية وكذلك مناقضتان للثناء الهائل عليه في كتبه المعتمدة المشهورة والتي جاء بعضها بعد وفاة الإمام ابن تيمية وفيها رثاء ومدح له[10]!

لكن على أي حال، فقد كان الغرض من استحضار تلك النصيحة المزعومة هو تفعيل أحد السمات الفوديّة الرئيسية: سب الاتباع مطلقا وتحقيرهم!

يقول د.فودة مُعلقا على أحد المواضع التي قام فيها الشيخ الإخميمي بذم مجموعة من أتباع فكر الإمام الذين هاجموه: "**كثير من أتباع ابن تيمية كانوا من العوام المشاغبين.. مثل سلوكهم هذا لا يصدر ممن تربى في محاضن العلم**" (**الإخميمي، 36**) ويقول عن الذهبي: "**يصف أمثال هؤلاء الأتباع الإمام الذهبي في رسالته التي**

---

[10] هناك من أدلة التضعيف ما هو أكثر بكثير من أن يتم تجاهله أو الاستخفاف به وذلك قد شرحه غير واحد من أهل العلم مثل التوضيح الجلي في الرد على النصيحة الذهبية: 85 - 92. محمد إبراهيم الشيباني. ط. مركز المخطوطات والتراث والوثائق. /وكالمعتاد يتجاهل د.فودة الرأي للاذع للإمام الذهبي والثابت عنه بأن هذه "الفلسفة الإلهية في شق وما جاءت به الرسل في شق" لذا فلا ينظر فيها من "يُرجى فلاحه ولا يركن إلى اعتقادها من يلوح نجاحه"!.. لكن ما يجعل الأمر غريبا هو أن د.فودة بما عنده من علم، ناقض منهجه، فإن كان منهجه التساهل في إثبات مثل تلك الرسائل: (النصيحة وبيان زغل العلم) -فهو مُقرٍ في كتابه كلمة الناشر التي فيها شدة في منهج نسبة الكتب وتفعيل منهج المحدثين في قبول الروايات، وبالتالي، في صفحة ،56 رفض كتاب (الرد على الجهمية) للإمام أحمد ابن حنبل ورد نسبته إليه بأدلة إن تمِ التسليم بها -فالطعن في النصيحة والبيان أشد؛ فهل المنهج هو التساهل أم هو التشدد واستخدام طرائق المُحدِّثين؟ وفي الحالتين هناك تناقض!

وجهها لرفيقه وشيخه ابن تيمية دفعا له عن مزيد تعصبه ... بقوله: (..فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل أو عامي كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوي المكر أو ناشف صالح عديم الفهم فإن لم تصدقهم ففتشهم وزنهم بالعدل..) ويقول فيها أيضا: (وأعداؤك والله فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء كما أن أولاءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر..) فتأمله" (الإخميمي، 37).

ويقول تمهيدا لإطناب وإسهاب في شرح مقدمات إحدى المسائل: **"كثير من الخائضين فيها في هذا الزمان لا يفهمونها على ما ينبغي ولا يتصورونها على ما هي عليه وخصوصا المجسمة الذين يدافعون عن ابن تيمية. فأكثرهم لا يفهمون أصل المسألة، ومن فهم منها شيئا فهو لا يدري حقيقة قول ابن تيمية، وإن فهمه - وهذا حتى الآن لم أر أحدا منهم قد وصل إليه- فقد لا يعي ما يلزم هذا القول من الأحكام الفاسدة" (الإخميمي، 62).**

هكذا فهؤلاء الأتباع مُطلقا: إما لا يفهمون وهم أدنى المراتب - أو لا يدرون وهي مرتبة وسطى- أو لا يعون وهي أعلى المراتب!

ويقول في رسالته الأخرى الملحقة عن أتباع ابن تيمية: **" نحن لا نستبعد أن هؤلاء الجهلة بما هم عليه من غفلة أن تنقلب أحوالهم في المستقبل القريب حين يتأكدون من نسبة هذه الأقوال إليه ومن مخالفته للعلماء، حينذاك فستراهم يحاولون أن يوجدوا له المبررات التي دفعته إلى القول بهذا القول وسوف يبذلون ما يستطيعون من جهد ليرجحوا ما يقوله ابن تيمية مما يؤكد عن العقلاء أنهم لا يهمهم في كثير ولا قليل عقيدة أهل السنة ولا غيرها بل كل ما يهمهم هو رجل تعلقوا به واعتقدوا فيه العصمة إن لم يكن بلسان المقال فهو بلسان الحال" (الإخميمي، 117).**

ويقول **"هذا البيان بهذه الطريقة الواضحة المختصرة يعجز عنه ابن تيمية نفسه وأتباعه. وأنا أعلم أنهم سيفرحون إذا وجدوا هذا التقرير لكلام ابن تيمية، وسيأخذونه ويطيرون به ويغضون الطرف عن وجه الخلل الحاصل فيه لأنهم**

يعتقدون التقليد له في أنفسهم" (**الإخميمي، 22**). وسبب عجزهم وفرحهم بأي شيء كهذا هو كونهم" **لا يفهمون أدلة المتكلمين ولا يعقلون أدلة المتفلسفة وإنما هم مقلدون لقول شيخهم"** (**الإخميمي، 23**).

أما في الكاشف فالأمر أوسع، وقد نقلنا من قبل ذلك الموضع الذي يهاجمهم فيه قائلا: "**قد أتينا بالدلائل الواضحة القوية على أنه يقول بجميع ذلك وذلك بصريح كلماته التي لا يستطيع أتباعه الجهلة إلا أن يفهموها على ما أراد هو ولا يمكنهم أن يفسروها بمعانٍ أخرى تنقذ هذا المبتدع من كونه مجسما تابعا للكرامية في أغلب جهالاتهم وأصولهم"** (**الكاشف الصغير، 30**).

وسنزيد ها هنا خمسة مواضع أخرى لتأكيد انتشار هذا السمت وثباته.

الموضع الأول:

" في هذه العبارة وما يتبعها يبين ابن تيمية لنا طرق المعرفة عنده، وهي التي يعتقد أن أي معرفة لا تأتي منها فهي معرفة باطلة، وهو يحصرها لنا أو على الأصح لأتباعه لعلهم يفهمون!" (**الكاشف الصغير، 42**).

الموضع الثاني:

" ابن تيمية يعرف تماما إذن أهمية الكلام في أصول وأسباب العلوم بل يعتبره أصلا عظيما يتفرع عنه الكثير من الفروع وهو الأمر الذي لم يدركه أتباعه لغاية هذا الزمان" (**الكاشف الصغير، 47**).

الموضع الثالث:

"عندما ننسب إلى ابن تيمية نفسه مثل هذه الأقوال فإن جهلة أصحابه يحاولون بكل قوتهم نفي هذه النسبة عنه ولا يستطيعون. فالحاصل أن من يتصور في حق الله تعالى مثل هذه المعاني فهو منحرف الفطرة والعقل شاذ النفس وهذا غالبا ما

يقول بذلك تقليدا لمشايخه من المجسمة أو انخداعا بمثل ابن تيمية وأتباعه" (الكاشف الصغير، 152).

الموضع الرابع:

" تخويفه هذا وتحريفه ذاك لن يغير من الحقيقة شيئا فالله تعالى ليس بجسم رغما عن أنف ابن تيمية. ولا يتأثر بكلامه هذا إلا الجهلة الذين لا يعرفون شيئا من أصول علم التوحيد، أما من شم من ذلك شيئا فلا يلتفت مطلقا إلى كلامه ويعرف أنه محض هراء" (الكاشف الصغير، 154).

الموضع الخامس:

" تستطيع أن تتيقن بأن الرجل غارق في التجسيم الصريح ولا يستطيع أحد من أصحابه ولا أتباعه دفع هذه الصفة عنه بأساليبهم الماكرة وأقوالهم الفارغة. خصوصا أنهم لغاية الآن لم أر واحدا منهم يفهم حقيقة ما يقول به ابن تيمية" (الكاشف الصغير، 167).

هؤلاء إذن هم أتباع ابن تيمية وأصحابه في رأي الفوديّة: جهّال رعاع أساليبهم ماكرة وأقوالهم فارغة لا يعلمون التوحيد ولا يفهمون شيخهم ويعتقدون بعصمته ولا يهتمون بالعقيدة في الحقيقة.

ثالثا: التمجيد الزائد لكل متقدمي الاشاعرة.

بحسب أوصاف د. فودة لشيوخ الأشاعرة المتقدمين والمتأخرين، المشاهير والمغمورين: لا يكاد يكون عند الأشاعرة شيخا غير إمام! مسألة تمجيد أعيان مشايخ الأشاعرة هذه والمغالاة في تلميعهم والتجاوز والتسامح بكل تلقائية عن أي خطأ أو زلة جاءت من هؤلاء "الأئمة" هو الآخر سمت مميز جدا ورئيسي لدكتور فودة ومدرسته؛ فالإخميمي مؤلف الرسالة برغم أنه لم يكن من المعروفين المشهورين في

عصر المشاهير (**الإخميمي، 32**) حتى إن كنيته نفسها فيها خلاف (**الإخميمي، 29**) ولم يذكر له مترجموه إلا مصنفا واحدا هو (**المنقذ من الزلل**) و"**أشياء أخرى**" (**الإخميمي، 35**) إلا أن د.فودة يتبنى فورا أوصاف الإمامة التي أطلقت عليه وتراه يكررها في كل موضع بالإضافة إلى المزيد مثل (**العلامة**) وغيرها في تفخيم واضح!

وهذا ليس محصورا في تلك الرسالة فقط بل هو أمر مطرد لا حصر لأمثلته سواء في كتاباته أو كتابات تلاميذه: الكل إمام والأشاعرة بجملتهم وأعيانهم يستحقون هذا؛ ففي مقابل الغلو في تحقير الخصم تجد غلوا في رفع كافة الأشاعرة في الجملة لا لإيمانهم فقط إنما لكل منتوجهم المعرفي، فإسهاماتهم في الفلسفة الإلهية وغيرها لم يكن مجرد مرحلة من مراحل التطور في هذه العلوم: بل هو الحق الثابت في هذه العلوم! دكتور فودة يقول مثلا مقارنا نظرية المعرفة الإسلامية الأشعرية بنظريات المعرفة الغربية: " **بلغ الأشاعرة شأنا عاليا في تحقيق أصول مناهج المعرفة، بينما نحن نرى أن فلاسفة الغرب وعلماءه ما يزالون يتعثرون في تقرير الأدلة والحجج وقد أفردوا للبحث في ذلك علما خاصا سموه نظرية المعرفة**" (الإخميمي، 37) هكذا فإنه حتى الأبستمولوجيا التي كادت تصبح مرادفة للفلسفة الغربية الحديثة من كثرة البحث فيها وتطويرها وسبر أغوارها -فإن أئمة الأشاعرة منذ قرون بعيدة بلغوا فيها شأوا عاليا بينما فلاسفة وعلماء الغرب يتخبطون فيها الآن!

وكون تقريرات ونظريات **أهل السنة والجماعة (وهم الأشاعرة والماتريدية)**[11] حقيقة مطلقة يجعل أي عاقل لا يسلم لهم هو مجرد جاحد معاند كاره مثل ابن تيمية أو ينقصه فهم الأشاعرة على التحقيق، كابن حزم مثلا: "**ذم ابن حزم لمذهب الأشاعرة في العديد من المواضع .. راجع لجهلة بحقيقة مذهبهم ولو عرفه ما خالفه" (الكاشف الصغير، 26).**

---

[11] أتعرف كم مرة قيلت هذه الجملة -بما فيها من وسوسة- في كتب د.فودة ومنتدياته؟!

وفي أحيانٍ قليلة يمتد هذا التمجيد ليأخذ بيد المعتزلة كما ذكرنا قبلا، وفي أحيان أكثر دقة يمتد هذا إلى الفلاسفة المنتسبين للإسلام؛ فيقول في أحد المواضع بعدما عرض آراء لغربيين من أمثال برتراند راسل في أحد قضايا فلسفة أرسطو الآتي أنه يميل "**لخطأ تصويرهم هذا لمذهب أرسطو... وعندي أن فلاسفة الإسلام -مع ميلهم أيضا إلى شرح أرسطو شرحا يقتربون به إلى الإسلام وما يحكم به من الدين- إلا أنهم أوثق من الغربيين في شرح كلامه وذلك لكمال عقولهم وثقتهم في أنفسهم خلافا لهؤلاء الغربيين**" (**الإخميمي، 67**).

فالتمجيد للجملة والأعيان هو سمت ثابت، والتبرير لأي هفوة أو خطأ أو زلة هو سمت ثابت كذلك؛ فيتم تأويلها بأحسن تأويل أو التدخل للإنكار بأرق عبارة. ففي معرض مدحه وتفخيمه للشيخ الإخميمي في المقدمة قال "**الإمام الإخميمي في رسالته هذه عف اللسان مؤدب في رده**" (**الإخميمي، 37**) مع أنه -الإخميمي- في معرض رده قال الآتي واصفا خصمه الذي يرد عليه في قضية التسلسل: "**إن كان هو هذا السفيه فذلك من أظهر الأدلة على أنه ولد زنا**" (**الإخميمي، 55**) فيبرر له فورا في الهامش قائلا: "**هكذا في الأصل! فلعله لما هو معروف بين الناس من أن الجاحد للجميل والمتنكر لفاعله يماثل بفعله هذا من ليس له أصل شريف كالذي لا يُعرفُ له أصل ينتمي إليه ويرجو دفع العيب عنه**" وقد كان قد مهد لهذا التبرير في هامش الموضع الأول والوصف بالأدب قائلا: "**لكنه في موضع ص 40 تلفظ بكلمة قاسية في حق أحد أولئك الأتباع وعذره ما كان عليه أولئك الناس من غاية النزول**" (**الإخميمي، 37**) هكذا تم تبرير تلك السبة الشنيعة وتأويلها ثم في النهاية لم يجد بدا لدناءتها من الإنكار بعبارة رقيقة جدا: "**لو عدل المصنف عن هذه اللفظة لكان أفضل**" (**الإخميمي، 55**).

رسالة من وريقات قليلة، لم تخل من تلك السبة، فلم يُمدح صاحبها بالأدب وعفة اللسان تحديدا؟ ألم يكن من الأفضل التجاوز عن ذلك الوصف؟ الحقيقة أنه لم يكن يمكن التجاوز عنه، فهذا الوصف تحديدا: الأدب وعفة اللسان -كان تبرير د.فودة

لاستخدام الشيخ الإخميمي رحمه الله لوصف (الشيخ الإمام العلامة) في حق الإمام ابن تيمية (**الإخميمي، 37**). لم يستخدمها لأنه يحترم ابن تيمية أو يعترف بعلمه - إنما استخدمها لأنه مؤدب عفيف اللسان!

لمثل هذا السمت، تجد إنكارا كبيرا من الأستاذ أشرف سهيل على منتدى الأصلين[12] على الدكتور حسن الشافعي في كتابه (**المدخل إلى دراسة علم الكلام**) واستنكاره الثناء على الإمام ابن تيمية والشيخ ابن عبدالوهاب في مواضع وكذا انتقاده لمتأخري الأشاعرة وغلبة العقلانيات عليهم مثل الرازي. ودكتور حسن في هذا الكتاب بالفعل كان ناقدا بصورة واضحة للمنهج الأشعري المتأخر ولم يكن متابعا لـ فوديّة في التمجيد الدائم والثناء العطر على الأشاعرة ومناهجهم جملة وأفرادا، وخاصة على الرازي رحمه الله وهو المقدم عندهم الذي صنع مع المجسمة -**سلف ابن تيمية برأي د.فودة**- الأفاعيل فقد "**قاومهم حتى أباد جحافلهم وشتت جموعهم وأبان عن فساد عقائدهم**" **(الكاشف الصغير، 13)**!

منهج الدكتور الشافعي هو (منهج أشعري) تركيبي غير مؤدلج لا يتعامل مع الأشعرية والأشاعرة كحق مطلق بل يقسمهم لأزمان ومراحل لكل منها سمات مختلفة وبعضها كان لابد من الإنكار عليه ؛ وهذه أمور لابد أن يستنكرها تلاميذ د. فودة لأنها مضادة تماما لأحد أهم أسس أيدولوجيتهم الأشعرية الجديدة وتيارهم تحديدا،وهي كفيلة بعرقلة هذا الصعود للأشعرية الجديدة باعتبارها حق مطلق زمانا ومكانا.

والإنكار على أي اتجاه أشعري آخر لا يشارك هذه الأيدولوجيا الأشعرية الجديدة غلوها وتطرفها في المدح المطلق والقدح المطلق هو سمت آخر لكنه غير منفصل بل هو مِلحق لازم للسمت الأصلي: المدح والقدح المُطلق الغالي في الأشاعرة وخصومهم -على الترتيب- جملة وأعيانا.. وتشنيع د. فودة على من لا يشاركه حربه المقدسة

---

[12] http://www.aslein.net/showthread.php?t=16065

تلك من الأمور المعروفة عنه؛ فتجده يصرخ غاضبا عمن يسمح بقراءة كتب ابن تيمية أو يشجع عليه: "**من المصائب الكبيرة أن يحض كثير من مشايخ أهل السنة على قراءة كتب ابن تيمية ظانين أن مسائل الخلاف إنما هي في مجرد التعبير عن العقائد ... وهم لا يدرون أنهم بهذا الموقف يحكمون على عقيدتهم بالفناء** " (**الكاشف الصغير، 470**). ورأيه أن الأسباب الرئيسية لهذا التسامح الظاهر هي:

أولا: جهل جل المشايخ والعلماء الأشاعرة المعاصرين بعقيدة الأشاعرة نفسها وتجهيل تلاميذهم بها مع إحسان النية بالمخالف السلفي: "**لو أضفت إلى ذلك أن كثيرا من المشايخ الذين ينتمون إلى أهل السنة باتوا يحذرون طلبة العلم من القراءة في علم التوحيد والغوص فيه مع تصريح كبار علماء السنة بأنه واجب عيني عند انتشار البدعة ولا يحضونهم على قراءة أكثر من متنٍ في هذا العلم لعرفت مدى التردي العلمي الحاصل بين أهل السنة في هذا المجال والحالة السيئة والمتردية التي وصلوا إليها... ومع أن كثيرا من العلماء المنتشرين في العالم الإسلامي في هذا الزمان هم أصالة من المنتمين إلى مذهب التنزيه، إلا أنهم لعدم إتقانهم كثيرا من مبادئ وقواعد علم الكلام الذي هو علم التوحيد، فقد ازدادت الرؤية عندهم ضعفا، فصرت تراهم مع حسن طويتهم وإخلاص نيتهم إذا رأوا مجسما يحسنون الظن به ويحملون كلامه على محملٍ حسن حتى وإن كان ظاهره هو التشبيه والتجسيم، هروبا منهم من تبديعه أو تكفيره" (الكاشف الصغير، 15).**

ثانيا: الخوف الشديد بسبب الجهل ابتداء ثم البحث عن حطام الدنيا وعدم الاهتمام برضى الله أو سخطه: " **هكذا كان حال أهل السنة في الماضي وأما الآن فإننا نراهم من أكثر الناس خوفا من انتقاد الآخرين، وخوفهم هذا راجع في أكثر الأحوال إلى جهلهم الحقيقي بمذهبهم وأصوله... الأمثلة على انقلاب الموازين في هذا العصر كثيرة لا يتسع المجال لذكرها. وما كان ذلك ليحصل وتثبت أركانه إلا لضعف المنتمين إلى أهل السنة وعدم تمكنهم من عقائدهم التي هي عقائد الدين وارتباط كثير منهم بموازين الحياة الدنيا فلذلك صاروا يحسبون أكبر الحساب**

لغضب فلان ورضى فلان ولا يلتفتون أصالة إلى رضى الله تعالى ولا إلى غضبه. وقد برع هؤلاء جدا في التبرير، أي تبرير مواقفهم هذه خاصة من سكوتهم وعدم ردهم على مذهب المجسمة... والتحقيق عندي أن مواقف هؤلاء جميعا من فتنة التجسيم المنتشرة في هذا الزمان لا يعدو أن يكون انعكاسا عن خوفهم من الرد عليهم وجهلهم بعقائد أهل السنة على التحقيق" (السنوسية، 14:17).

هكذا فالعالم الأشعري المتسامح مع تراث ابن تيمية أو الذي لا يشارك في هذه الحرب الشعواء ضده: هو شخص متهم في علمه ودينه!

وينتج من هذا السمت أيضا سمت آخر لازم لا ينفك عنه: وهو تمجيد الذات بصورة لا تُصدَّق منذ وقت مبكر جدا في عمر الدكتور وحتى الآن، وهذا أمر لا أحسب أن عاقلا من مدرسة الدكتور نفسها ينفيه، وأي قارئ لمصنفات د.فودة مهما اعترف بعلمه لابد أن يقر بهذه الحقيقة؛ والأمثلة على ذلك التمجيد لا حصر لها.

الختام

ما عرضته في هذا البحث هو أهم السمات التي رصدتها في تيار د. سعيد فودة المنتشر الصاعد بقوة عوامل صعود الأشعرية الجديدة والتنكيل بالسلفية المعاصرة الحقة من الحكام وحاكمي الحكام!

ويسهل، تبعا لكافة ما عرضناه من آراء ذلك التيار وتلك الأيدولوجيا، أن نستخلص كون أي قول للإمام ابن تيمية فيه احتمالات من جهة القارئ:

الاحتمال الأول أن يكون القارئ أشعريا: وهذا ينقسم لأشعري تقليدي وأشعري فودي من أتباع الأشعرية الجديدة؛ أما الأشعري الفودي سيراه بعين د.فودة ويلتزم سمات مدرسته ويتأدلج بقوة؛ أما الأشعري التقليدي غير الفودي فإما سيوافق على تأويل د. فودة، أو يرفضه -فإن وافقه كان عالما بعقيدته؛ وإن خالفه كان جاهلا بعقيدته قبل عقيدة ابن تيمية! أما إن سكت رغم علمه -فهو إما ساكت خوفا ورغبة في حطام الدنيا مطعونا في دينه وإما ساكت خوفا ورغبة في حطام الدنيا مطعونا في دينه!

الاحتمال الثاني أن يكون القارئ سلفيا وهابيا: وهذا إما جاهل بحقيقة ما يقوله ابن تيمية ولوازم هذا القول الكفرية خاصة أن أتباع ابن تيمية جهلة أغبياء لا يفهمونه ولا يفهمون المسائل ولا يفهمون علماء الكلام بالمطلق! وإما عالم فاهم بها وبلوازمها - وهذا غير موجود أو على الأقل لم يره د. فودة أبدا ربما لأنه من مُحالات العقول عنده!

أما الجاهل فبعدما يرى كلام د. فودة إما يسلم به ويكون منصفا، وإما لا يسلم به إنما يتأول كلام شيخه المعصوم ابن تيمية الذي يقدسه ويعتقد بعصمته. د. فودة لا يرى أنه سيسلِّم، إنما يرجح أنه سيتأول ويهرب. هكذا هم السلفيون الوهابيون التيمية المجسمة أراذل الحنابلة: حالة ميؤوس منها.

*أما من جهة مجمل الحكم على عقيدة ابن تيمية نفسه:

فابن تيمية لا يصرح بعقيدته، لأنه جبان يخاف إظهار حقيقة معتقده وإلا كفره العلماء، لهذا لابد من استقراء لكلامه؛ فالمستقرئ إما د. فودة وإما غيره من الأشاعرة المعاصرين وإما أتباع ابن تيمية. أما الأشاعرة المعاصرين فقد مر رأي د. فودة فيهم علما وفهما بصورة عامة وفي قضية النص التيمي بشكل خاص، أما الأتباع فقد مر رأيه فيهم فهم أغبياء مطلقا؛ فيتبقى د. فودة العالم بأساليب ابن تيمية الماكرة وبشخصيته الجبانة؛ فهو الباحث بين السطور والجامع للمتفرقات والحاصر إياها والكاشف أن لوازم ابن تيمية كلها أقوال كفرية[13] وهي أقوال تلزمه لا محالة لكنه فقط يهرب منها ويضع لنفسه منفذا للهروب سده عليه د. فودة برفضه أي قول آخر لابن تيمية قد ينفي هذه اللوازم. فهذا القول في النهاية سيكون تلاعبا للهروب لا أكثر من مقصلة أشاعرة عصره ود. فودة، ثم إن المستدل بهذا القول سيكون تيمي ومعلوم كما مر أن التيمي جاهل لا يفهم.

فأين المفر من د. فودة وأيدولوجيته؟!

لابد من خوض الصراع مع الاعتداء على ذات الله.

لابد من خوض الصراع مع المجسمة الوهابية الحشوية الكرامية التيمية.

لابد من خوض الصراع العقدي فورا: مع السلفيين!

تم بحمد الله في 30 محرم 1437، 12 نوفمبر 2015

---

[13] هناك تلميحات كثيرة جدا ترجح كون د.فودة يكفر ابن تيمية. وإن لم يصرح بتكفيره قط رغم التلميحات الكثيرة للفكرة دون تبنيها بل والتصريح بعكسها نادرا! ويلزم -على طريقة د.فودة- من كونه يكفر كل من قال بنصف مقالات ابن تيمية أنه يكفر ابن تيمية! لكننا نأخذ من د.فودة النص على ظاهره وعلم باطنه إلى الله. ولا حول ولا قوة 1إلا به.

المصادر

Diwan, Kristin Smith. "Who Is Sunni?: Chechnya Islamic Conference Opens Window on Intra-Faith Rivalry." agsiw.org. 9 16, 2016. https://agsiw.org/who-is-a-sunni-chechnya-islamic-conference-opens-window-on-intra-faith-rivalry/.

Dorsey, James M. "UAE Vs. Saudi: Fighting for the Soul of Islam." theglobalist.com. 1 10 2016. https://www.theglobalist.com/soul-of-islam-uae-saudi-arabia-religion-gulf-countries/.

ابن قيم الجوزيه. الوابل الصيب. تحرير سيد إبراهيم. دار الحديث، 1999.

أثير الدين الأبهري. رسالة في علم الكلام. تحرير محمد أكرم أبو غوش. النور المبين، 2012.

أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. بيان تلبيس الجهمية. المجلد 1. مجمع الملك فهد، 1426.

الحافظ ابن كثير. البداية والنهاية. المجلد 14. ابن رجب، بلا تاريخ.

إمام عبد الفتاح إمام. مدخل إلى الميتافيزيقا. 3. نهضة مصر، 2009.

تاج الدين السبكي. معيد النعم ومبيد النقم. الكتاب العربي، 1948.

تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية. الرسالة التدمرية. دار العبيكان، 2000.

—. بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية. المجلد 1. مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، 1426 هجرية.

—. درء تعارض العقل والنقل. المجلد 1. جامعة الإمام، 1991.

حسن الشافعي. المدخل إلى دراسة علم الكلام. إدارة القرآن والعلوم الباكستانية، 2001.

سعيد فودة. الكاشف الصغير عن عقائد ابن تيمية. دار الرازي، 2000.

—. تحقيق رسالة في الرد على ابن تيمية في مسألة حوادث لا أول لها. دار الذخائر، 2014.

—. تدعيم المنطق. البيروتي، 2010.

—. تهذيب شرح السنوسية أم البراهين. دار الرازي، 2004.

—. نظرة تحليلية على العلوم الشرعية في الوقت المعاصر. بلا تاريخ.

مشهور آل سلمان. كتب حذر منها العلماء. المجلد 1. الصميعي، بلا تاريخ.

المحتويات


العزيز
عمرو عبد